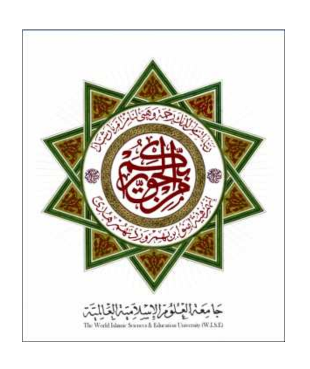


جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كليـــة الدراسات العليا

قســــــــم اللغة العربية وآدابها

الأيديولوجيا وأثرها في الرواية الأردنية
طاهر العدوان نموذجاً

Ideology and the Impact on Jordanian Novel
Taher AL – Adwan as Amodel

إعداد

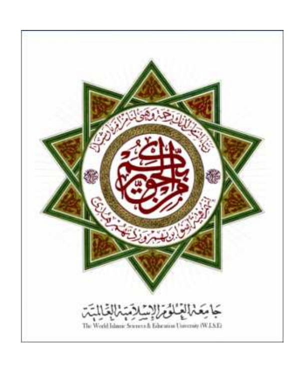
محمد جميل أحمد المساعفة

إشراف

الدكتور سمير بدوان قطامي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في (الدراسات الأدبية والنقدية) في جامعة العلوم الإسلامية العالمية

تاريخ المناقشة: عمان 7/ 12/ 2014م



جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كليـــة الدراسات العليا

قســـــــم اللغة العربية وآدابها

الأيديولوجيا وأثرها في الرواية الأردنية
طاهر العدوان نموذجاً

إعداد

محمد جميل أحمد المساعفة

إشراف

الدكتور سمير بدوان قطامي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في (الدراسات الأدبية والنقدية) في جامعة العلوم الإسلامية العالمية

تاريخ المناقشة: عمان 7/12/ 2014م

الأيديولوجيا وأثرها في الرواية الأردنية
طاهر العدوان نموذجاً

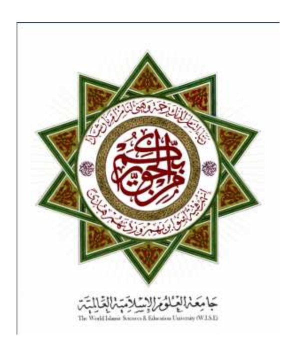
Ideology and the Impact on Jordanian Novel
Taher AL – Adwan as Amodel

إعداد
محمد جميل أحمد المساعفة

إشراف
الدكتور سمير بدوان قطامي

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 7 / 12 / 2014م

اسم الدكتور	اسم الجامعة	التوقيع
الدكتور سمير بدوان قطامي (مشرفاً)	العلوم الإسلامية العالمية	....
الـدكتور موفـق ريـاض مقـدادي(عضــوا) أستاذ مساعد	العلوم الإسلامية العالمية	....
الدكتورة فوز سهيل نزال (عضواً خارجياً)	الجامعة الأردنية	....



The world Islamic Science & Education University

Faculty of Graduate Studies

Dept of Arabic Language and Litrature

Ideology and the Impact on Jordanian Novel
Taher AL – Adwan as Amodel

By

Mohammad Jamil Ahmed AL – Masafah

Supervisor

Sameer Badwan Qatami

Thesis Submitted in Partial Fulfillment of the Requirement for the degree of Master of Art in Litrature and Critical Studies at The World Islamic Science &Education University

The World Islamic Science & Education University

Amman:7 / 12 /2014

نموذج التفويض

أنا الطالب **محمد جميل أحمد المساعفة** أفوض جامعة العلوم الإسلامية العالمية بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

التوقيع:

التاريخ: ٣٠/١٢/٢٠١٤م

الإهداء

إلى أطهر الأرواح التي غادرتنا لتسكن زرقة السماء ...

أسكنها الله فسيح جنانه أمي ...

إلى زوجتي العزيزة ... نعم الزوجة الصالحة ...

التي قدمت لي كل دعم وعون ... ولن أنسى فضلها يوماً ...

إلى ابنائي فلذات كبدي (لين ... ورد ... ياسمين) ...

جعلهم الله من أهل التقوى والعلم ...

الشكر وتقدير

الحمد لله الذي بحمده تتم النعم والشكر للقائل فـــي محكـــم تنزيلـــهقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ ﴾ إبراهيم: ٧ والصلاة والسلام على الرسول المصطفى حبيبنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،

أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل الدكتور سمير قطامي المـــشرف على الرسالة، له الشكر والتقدير على ما منحني من الوقت والجهد والاهتمـــام، إذ تعهدني بحسن تعامله، وكرم أخلاقه، وسعة صدره، وبذل كل ما في وسعه لتخطي المصاعب والعقبات التي واجهتني، فكان نعم المشرف ونعم المعلم.

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى والدي وإخواني وأخواتي لتـــشجيعهم لـــي علـــى مواصلة مشواري التعليمي، وخاصة اختي الدكتورة نجود.

كما أتوجه بالشكر إلى أخي وصديقي طارق العويدي لتشجيعه ودعمه المتواصـــل لي.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة: الدكتور موفق مقدادي، والدكتورة فوز نزال، لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرســـالة، وتقييمهـــا وابـــداء التوجيهات والنصائح رغم مشاغلهما العلمية والعملية فجزاهما الله خير الجـــزاء والثواب.

قائمة المحتويات

الملخص

الأيديولوجيا وأثرها في الرواية الأردنية
طاهر العدوان نموذجاً

إعداد

محمد جميل أحمد المساعفة

إشراف

الدكتور سمير بدوان قطامي

نوقشت وأجيزت بتاريخ: 7/ 2014/12م

تكشف هذه الدراسة عن تجربة طاهر العدوان الروائية وتحليلها، وإلقاء الـضوء عليهـا، والكاتب هو أحد الروائيين الذين برزوا في منتصف القرن العشرين، ويتمتـع بموهبـة أدبيـة، ويمتلك خبرة سياسية،ووعياً اجتماعياً، انعكس في رواياته التي نال بعضها جوائز أدبية.

وقد تناولت الدراسة البناء الفني في رواياته: (المكان، الشخصيات، والزمـان، الحـدث)، وقسمت إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، كان الفصل الأول للحديث عـن الأيـديولوجيا فـي الرواية الأردنية، وتفرع إلى مبحثين: المبحث الأول تناول أثر الأيديولوجيا في الرواية الأردنية وموقع طاهر العدوان منها، حيث قدم الباحث تعريفـاً بالأيـديولوجيا وأنواعهـا(الاشـتراكية، والاسلامية، والقومية) وأثر الايديولوجيا في الرواية الأردنية وموقع العدوان منها، وعن أهميـة الرواية بالنسبة للمجتمع، وأما المبحث الثاني تناول طاهر العدوان وجهوده الروائية،حيث احتوى على السيرة الذاتية، والفكر القومي للكاتب.

أما الفصل الثاني فتناولت فيه المضامين الروائية في روايات طاهر العدوان، وقمت بتقسيم الفصل الى مبحثين: المبحث الأول تناول المضامين الاجتماعية وهي(الفقر والربـا، والعـادات والتقاليد)، والمبحث الثاني تناول البعد السياسي للقضية الفلسطينية في روايات العـدوان، فقـد تناول الباحث صورة التشرد والنزوح ومعاناة الشعب الفلسطيني، ودور الجيش الأردنـي فـي الدفاع عن القضية الفلسطينية.

أما الفصل الثالث فتناولت فيه الدراسة الفنية في روايات طاهر العــدوان، متحــدثاً عــن المكان حيث يتشكل عند طاهر العدوان من نوعين (المفتوح والمغلق)، وعن الشخصيات حيــث تناول فيه الباحث(الشخصيات الرئيسة والثانوية)، وعن الزمان حيث قدم الباحث تعريفــاً بــه، وعن أنواعه (الخارجي والداخلي) وعن الأحداث فقد تناول الباحث بعض الأحــداث الرئيــسة، كتهجير الفلسطنيين من أرضهم، واستيلاء المرابي عليان على أرض ضيف الله،وقتــل الــسيد المصري، والاعتداء على أنوار .

أما الخاتمة، فقد احتوت على أهم النتائج التي توصلت اليهــا الرســالة، وهــي القــضايا السياسية والاجتماعية وانعكاسها على الرواية الأدبية التي عالجها الكاتب برؤية فنية، والعلاقــة الوثيقة التي تربط بين الشعب الأردني والفلسطيني، نتيجة الأحداث السياسية في فترة الأربعينات والخمسينات، وترسيخ القومية العربية.

Abstract

Ideology and the Impact on Jordanian Novel

Taher AL – Adwan as Amodel

By

Mohammad Jameel Ahmad Al-Masa'fah

Supervisor

Dr.Sameer Bidwan Qatami. Prof

Amman:7 / 12 / 2014

The current study aimed at revealing Taher AL-Edwan's experience in the field of novels writing and its analysis. Taher AL-Edwan is one of the outstanding novelists in the mid-twentieth century, where he enjoyed a literary talent, political and social experience which reflected on his novels and some of which won literary awards

The current study has addressed the artistic structure in his novels (location, characters, time, event).The current study was divided into an introduction, three chapters and a conclusion.The first chapter addressed the ideology and its effect on Jordanian novel, and Taher AL-Edwan's attitude towards it. The researcher has presented a definition for ideology and its types (Socialism, Islamic, and nationalism) and its effect on the Jordanian novel, AL-Edwan's attitude towards it, and the significance of novel for society. The second topic has addressed Taher AL-Edwan's biography, his efforts and his nationalism thoughts.

The second chapter has addressed AL-Edwan's novels implications, where the researcher has divided this chapter into tow topics; the first one addressed the social implications (including poverty, usury ,customs and traditions),while the second one has addressed the political dimension of the Palestinian issue in AL-Edwan's novels where the researcher has addressed some aspects including vagrancy, decampment, the suffering of the Palestinian people, and Jordanian army's role in the defense of the Palestinian issue.

The third chapter has addressed the artistic aspects in AL-Edwan's novels including "the location" which, in AL-Edwan's novels, is divided into two types (open and closed location). Artistic aspects included also the novel's characters divided into (main and secondary characters), also included the aspect of "time "which was defined and divided into (internal and external).The aspect of "events" was also addressed, where the researcher mentioned some key events such as displacement of Palestinians, the seizure of Daif-Allah's land by the usurer Olayan, murder of the Egyptian man, and assault upon Anwar.

The conclusion of the current study has addressed the most significant results including social and political issues and their effect on novels, the close bond linking Jordanian and Palestinian people as a result of political events in the 40s and 50s, and the consolidation of Arab nationalism.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومـــن سيئات أعمالنا، ومن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أكمل الله به النعمة وجعل به الرسالة.

إن الرواية فن نثري حديث نضج في منتصف القرن العشرين، وكان له حضور في بعض الأقطار العربية أكثر من غيرها، ولم يظهر هذا الفن في الأردن إلا في فتـــرة متـــأخرة، لعـــدة أسباب، فالرواية مرآة للمجتمع تعكس أحواله الاجتماعية والسياسية والفكريـــة، ولهـــذا الـــسبب عمدت إلى دراسة تجربة روائية أردنية، وهي تجربة طاهر العدوان، الذي استطاع من خـــلال ابداعه الروائي أن يقدم تجربة روائية متميزة، تعبر عن الهموم السياسية والاجتماعية والذاتيـــة التي عاشها جيله.

وتأتي أهمية هذه الدراسة بأنها تلقي الضوء على جوانب فنية، وأدبية عند أدبائنا وكتابنـــا الذين لم يُدرسوا، وعلى الرغم من إبداعات هذا الروائي، لم يحض باهتمام الباحثين والدارسين، إذ لم أجد أية دراسة أكاديمية حول إبداعه الروائي على الرغم من أن رواياته تعبر عن همـــوم الإنسان وقضاياه، وعن هموم الوطن. وستكون هذه الرسالة للكتابة عن رواياته، وعن القـــضايا التي تعالجها، وأفرادها بدراسة ادبية.

كما وتهدف هذه الدراسة إلى كشف تجربة طاهر العدوان الروائية وتحليلها، وإلقاء الضوء عليها، فالكاتب هو أحد الروائيين الذين برزوا في فن الرواية، حيث يتمتع بموهبة أدبية، ويمتلك خبرة سياسية ووعياً اجتماعياً، انعكس في رواياته التي نال بعضها جوائز أدبية، وقـــد اعتمـــد الباحث في دراسته على المنهج التكاملي.

لم أجد دراسات سابقة متخصصة عن طاهر العدوان، ولكنني عثرت على بعض المقالات في بعض الصحف والمجلات، بالإضافة إلى ذلك اطلعت على الكتب والدراسات التي تناولت الأدب الروائي الأردني وهي:

1. دراسة سليمان الأزرعي (فلسطين في الرواية الأردنية).
2. دراسة إبهارة الطراونة (هزاع البراري روائياً).
3. دراسة نزيه أبي نضال (علامات على طريق الرواية في الاردن).
4. دراسة حمودة زلوم (في الرواية الاردنية).
5. دراسة علي قويدر (عبد الرحمن منيف روائيا).
6. دراسة نبيل حداد (الرواية في الأردن).

وقد خصصت دراستي للأيديولوجيا وأثرها في الرواية الأردنية، طاهر العدوان نموذجاً، معتمداً في دراستي على مصادر ومراجع عربية، ورسائل، ومواقع الكترونية.

تكونت الرسالة من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، كان الفصل الأول للحديث عن الأيديولوجيا في الرواية الأردنية، تفرع الى مبحثين: المبحث الأول تناول أثر الأيديولوجيا في الرواية الأردنية وموقع طاهر العدوان منها، والمبحث الثاني تناول طاهر العدوان وجهوده الروائية.

أما الفصل الثاني فتناولت فيه المضامين الروائية في روايات طاهر العدوان، وقمت بتقسيم الفصل الى مبحثين: المبحث الأول تناول المضامين الاجتماعية، والمبحث الثاني تناول البعد السياسي للقضية الفلسطينية في روايات العدوان.

أما الفصل الثالث فتناولت فيه الدراسة الفنية في روايات طاهر العدوان، متحدثاً عن البناء المكاني والشخصيات والزمان والاحداث.

أما الخاتمة، فقد احتوت أهم النتائج التي توصلت إليها الرسالة، وهي القضايا السياسية والاجتماعية، وانعكاسها على الرواية الأدبية التي عالجها الكاتب برؤية فنية.

الفصل الأول

الأيديولوجيا في الرواية الأردنية

المبحث الأول: أثر الأيديولوجيا في الرواية الأردنية وموقع العدوان منها

المبحث الثاني: طاهر العدوان حياته وجهوده الروائية.

- **السيرة الذاتية.**
- **جهوده وأعماله الروائية.**

الفصل الأول

الأيديولوجيا في الرواية الأردنية

المبحث الأول: أثر الأيديولوجيا في الرواية الأردنية وموقع العدوان منها

"يعود استخدام مصطلح الأيـــديولوجيا إلـــى المفكـــر الفرنـــسي (دســـتيت دي تراســـي) عام1797م،"فالايديولوجيا تعني عنده: علم الأفكار الذي يهتم بالبحث في أصل الأفكار وأصولها الثقافية والمعرفية والاجتماعية، وكيفية تطور أساليب الفكر وأنماط المعرفة"[1].

" حيث كل فرد في المجتمع يمتلك قدراً من الأفكار والتصورات يمكنه من خلالها أن يحدد علاقته بالآخرين، وأن يتخذ موقفاً من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، يتسم بالقبول والإيجاب أو بالرفض والمعارضة، معبراً عن الفكر الأيديولوجي الذي يحمله ويدين لـــه بالولاء"[2].

---

(1) رمزي، نبيل، (ب، ت)، علم اجتماع المعرفة، ط، ص21، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية.

(2) خليفة، عبد الرحمن، 2006، المدخل في الايدلوجيا والحضارة، ط1، ص 21، مكتبة بستان المعرفة، كفر الدوار.

- تعريف الأيديولوجية:

تعددت التعريفات التي أُعطيت للأيديولوجيا في المعاجم الفلسفية والاجتماعية والسياسية[1]، ويمكن القول إنها عبارة عن نظام فكري وعاطفي شامل يعبر عن موقف الأفراد في مجتمعاتهم من القضايا السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية.

فالأيديولوجية تنقسم إلى قسمين:

1- "الأيديولوجيا البرجوازية"[2].

2- " الأيديولوجيا المهيمنة"[3].

الأولى" هي الأيديولوجية التي تسيطر على الثقافة السياسية في الأنظمة الليبرالية للديموقراطية الرأسمالية، هي عنوان هذه الأنظمة في الثقافة والسياسة"[4].

والثانية" هي تعبير يُطلق على الثقافة المسيطرة على أي جماعة من الجماعات وخصوصاً الحاكمة، التي تحاول غرسها عن طريق وسائل الاتصال والنظام التربوي"[5].

---

(1) ينظر تعريف الأيديولوجيا في المعاجم التالية:

1- العروي، عبدالله (2012). مفهوم الأيديولوجيا، ط8، ص9، المركز الثقافي العربي.

2- البيطار، فراس (2003).الموسوعة السياسية و العسكرية، ج1، ص28-29، دار أسامه للنشر والتوزيع.

3- عطية الله، أحمد(1968). القاموس السياسي، ط3، ص161، دار النهضة العربية.

4-الحفني، عبدالمنعم (2000). المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3، ص 136،مكتبة مدبولي.

5- وهبه، مراد (1998). المعجم الفلسفي، ص 126، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع.

6- عبدالفتاح، إسماعيل (2008). معجم المصطلحات السياسية و الاستراتيجية، ط1،ص50،العربي للنشر والتوزيع.

(2) مصدر سابق: الحفني، عبدالمنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة،ص 50.

(3) المصدر نفسه: ص50.

(4) المصدر نفسه: ص50.

(5) المصدر نفسه: ص51.

فهذه التعريفات تطرح علاقة مركبة بين الواقع والأيديولوجيا فالواقع ليس مجـــرد واقـــع مادي، بل هو واقع اجتماعي ونفسي وروحي [1].

وقد تعددت الأيديولوجيات منها (الاشتراكية، الإسلامية، القومية) وسنتطرق بشيء بـــسيط لكل واحدة.

الأيديولوجيا الاشتراكية:

هي أيديولوجية ذات مصادر متعددة، ولكنها تمثل رد فعـــل للأيديولوجيـــة الرأســـمالية، ومرحلة تاريخية تالية لها،حيث يقوم الفكر الأشتراكي على فكرة تـــدخل الدولـــة فـــي النـــشاط الاقتصادي لتحقيق ما يعجز الأفراد عن القيام به، والعمل على استقرار الاقتصاد القومي و الحد من التقلبات التي يمكن أن تنتابه.

و يتميز النظام الاشتراكي بخصائص رئيسة هي:

1) الملكية الجماعية لوسائل النتاج
2) التخطيط الاقتصادي.
3) إشباع الحاجات الجماعية.

الأهداف:

1) تحقيق الكفاية في الإنتاج.
2) تحقيق العدالة في الإنتاج.

الاشتراكية كانت هدفاً لكثير من الحركات السياسية و الاجتماعية في عدد كبير من الدول مثل:

- حزب العمال في بريطانيا.
- الحزب الاشتراكي في فرنسا.
- التنظيمات السياسية في عدد من الدول العربية[2].

---

(1) ينظر: منتديات حروف الأردن.

www.jor1jo.com/showtheread.php?t=21521

(2) http:Logalcounsel.owon.com

الأيديولوجيا الإسلامية:

"تختلف الأيديولوجية الإسلامية عن غيرها من الأيديولوجيات والأفكار الأخرى، فهذه الأيديولوجيات عبارة عن تفاعل البشر مع متطلبات الحياة و تطوراتها والصراع البشري والتجربة البشرية البحتة، أما في الحالة الاسلامية فهي عبارة عن تفاعل البشر مع القرآن وحديث الرسول- صلى الله عليه و سلم- "[1]، وهي تقوم على اعادة بعث النظام الاسلامي واستلهامه في النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي للدول والمجتمعات.

الايديولوجية القومية:

هي حركة اجتماعية سياسية نشأت مع مفهوم الأمة في عصر الثورات (الثورة الصناعية، الثورة البرجوازية، والثورة الليبرالية) في فترة أواخر القرن الثامن عشر [2].

---

(1) موقع دنيا الوطن Pulpit,alwatanvoice.com

(2) موقع ويكبيديا.

أثر الأيديولوجيا في الرواية الأردنية وموقع العدوان منها

الرواية هي مرآة المجتمع حيث" تعبير عن الحياة بتفصيلاتها وجزئياتها وشبكة علاقاتها، وهي تجربة إنسانية يصور فيها الروائي الجوانب الإنسانية والنفسية في بيئة ما خلال حقبة زمنية، ويطرحها بشكل مقنع ومبرر، من خلال حركة الشخوص وصراعهم، وتطور الأحداث وأسلوب التناول والعرض"[(1)].

ويعرفها خالد الكركي بأنها " العالم الحقيقي للناس: بشخوصهم وعلاقاتهم وانكساراتهم ورؤاهم، هذا إذا كانت الرواية متصلة بالحياة لا بهوامش الحياة، وبأصحاب الحق في الحياة، لا بالذين يسلبون هذا الحق، ويكتبها الروائيون الفنانون، لا الزاحفون على الفن بغير قيم ورؤى وقضية"[(2)].

أهمية الرواية بالنسبة للمجتمع

"للرواية مهمة كبيرة في توجيه المجتمع، بل إن بعض الأنواع الروائية، نشأت في عصر اقتضى ضرورة وجوده، من ذلك القصص التاريخي كما أشار إلى ذلك جملة كبيرة من النقاد، الذين عزوا ظهور الجنس، إلى حس قومي ووطني، تطلبه أحوال البلاد"[(3)].

---

(1) قطامي، سمير (1989). الحركة الأدبية في الأردن 1948-1967م، ص169، وزارة الثقافة والتراث القومي، عمان.

(2) الكركي، خالد (1986). الرواية في الأردن، ص9، عمان.

(3) عبد الخالق، نادر (2009)، الرواية الجديدة/ بحوث ودراسات تطبيقية، ط1، ص26، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

من هنا نجد أن التقسيم التاريخي مفيد لتحديد مراحل الرواية في الأردن:

المرحلة الأولى

وتمتد من سنة 1912 إلى 1949م، صدور أول رواية أردنية لعقيل أبي الشعر، وهي "الفتاة الأرمنية في قصر يلدز" سنة 1912م، التي تصدت للحكم العثماني وظلمه، فحُكم عليه بالإعدام نتيجة ذلك، وقد عدت هذه الرواية بذرة للرواية الأردنية، وهي بذرة سياسية.

المرحلة الثانية

وتمتد من سنة 1950 مع توحيد الضفتين إلى 1967م نكسة حزيران، وما أعقبها من تطورات وتغيرات اجتماعية وسياسية وثقافية، إذ غلب الفكر السياسي والاجتماعي على فكر الكتاب في هذه المرحلة، وذلك نتيجة للظروف السياسية السائدة في تلك المرحلة (من النكبة إلى النكسة).

المرحلة الثالثة

وتمتد من 1967إلى هذه الفترة و تشمل الإنتاج الروائي الحقيقي بكامله تقريبا[1].

لا شكَ أن الواقع الأردني بما فيه من أحداث سياسية و اجتماعية و اقتصادية يؤثر تأثيراً كبيراً على فكر الكاتب وفي إنتاجه الأدبي.

تعد رواية " فتاة من فلسطين " لعبدالحليم عباس، أول رواية سياسية بعد نكبة 1948، إذ تتوافر فيها شروط المعمار الروائي دون أن ترقى إلى مصاف الأعمال الناجحة [2]، حيث برز في هذه المرحلة كثير من كتاب الرواية منهم سليمان المشيني في روايته (سبيل الخلاص)

---

(1) ينظر:أبو نضال، نزيه (1996). علامات على طريق الرواية في الأردن،ط1، ص11-12، دار أزمنه للنشر و التوزيع.

(2) مصدر سابق: ينظر: الكركي،خالد،(1986) الرواية في الاردن، ط1، ص29،نشر بدعم من الجامعة الاردنية، عمان، الاردن.

1955. وهي رواية أخلاقية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وكانت هذه الرواية أقرب إلى المنحى الأخلاقي لأنه كان غائباً عن الساحة السياسية، ولعل شاكر النابلسي يقصد بغياب المشيني عن الساحة السياسية عدم معايشته الظروف الصعبة التي تعيشها المنطقة العربية[1]. وعيسى الناعوري في روايته "مارس يحرق معداته"1955، وتحمل هذه الرواية في طياتها الفكر الأسطوري.

ويصف محمد عطيات رواية الناعوري "بأنها أغنى القصص الأردنية بالقيم والمضامين الوطنية والإنسانية، إلا انها صورة خيالية رومانسية لقرية يعمها الخير، مستوحاة من عالم أساطير الرومان، وظفها لحل مشكلات الإنسان"[2]، وعلى الرغم من ذلك فللناعوري فضل الريادة القصصية الفنية، وقد بلغ عدد الروايات في فترة الخمسينات والستينات حوالي (22) رواية.

وبعد مرحلة الرواد تأتي مرحلة المؤسسين الحقيقيين للرواية في الأردن: تيسير السبول في روايته "أنت منذ اليوم" وسالم نحاس وروايته "أوراق عاقر"، وأمين شنار في روايته "الكابوس"، وبعد هذه المرحلة تأتي مرحلة السبعينات والثمانينات، وفيها تلحظ أن الكاتب يتجه إلى رصد حياة بيئة كاملة من خلال رؤية اجتماعية.

تتجه الأعمال الروائية في المرحلة السابقة إلى علاج القضايا الاجتماعية، والسياسية، فالبعد الاجتماعي يشمل الأحداث والشخصيات وبنية الحدث، أما البعد السياسي فنراه في التوحد من أجل مصلحة الوطن و مقاومة الاستعمار.

---

(1) ينظر: النابلسي، شاكر (1994). كيف عبرت الرواية الأردنية عن الواقع المحلي و العربي، أوراق ملتقى عمان الثقافي الأول، ص142–143، منشورات وزارة الثقافة، عمان.

(2) عطيات،محمد (1985). القصة الطويلة في الأدب الأردني من بدء الإمارة 1921–1977،ص79، منشورات دائرة الثقافة و الفنون، عمان.

وخير ما يمثل هذا النمط و الفكر الروائي:

- رواية (الهجرة إلى الشمال) لفؤاد القسوس.
- رواية (وجه الزمان) لطاهر العدوان.
- رواية (مسافر بلا عنوان) لعصام عماري.
- رواية (المخاض) لسعادة أبو عراق.
- رواية (تشرق غرباً) لليلى الأطرش.
- رواية (مخلفات الزوابع الأخيرة) لجمال ناجي.
- رواية (ساعة الصفر) لأحمد عودة.

وقد اتجهت هذه الروايات إلى تسجيل واقع المجتمع من خلال أيديولوجية تميل إلى المثالية، وقد غلب عليها طابع التجربة الذاتية، حيث نجد أن رواية "وجه الزمان" لطاهر العدوان قد حاولت التعبير عن القضايا الاجتماعية والسياسية من خلال الحس الرومانسي [1].

وقد استطاع طاهر العدوان متأثراً إلى حد كبير بالعمل السياسي والوعي القومي والأيديولوجي، التعبير عما مر به من تجارب من خلال أعماله الروائية[2].

(1) ينظر: زلوم، حمودة (1995). في الرواية الأردنية، ص7-8، دائرة المطبوعات والنشر.

(2) ينظر: الفاعوري، عوني(1999)، أثر السياسة في الرواية الأردنية، ص24، وزارة الثقافة، عمان.

المبحث الثاني: طاهر العدوان حياته وجهوده الروائية

- السيرة الذاتية:

ولد طاهر مفلح العدوان في أبو نصير عام (1944)م، في سهل البقعة، و" هو ابن الشهيد (مفلح العدوان) الجندي الأردني الذي قاد العملية الاستشهادية التي اسفرت عن استسلام مستعمرة (كفار عصيون) و(دير الشعار) والمستعمرات الثلاث المجاورة، ليلة الثاني عشر من أيار عام (1948)م. حيث بلغت خسائر العدو في هذه المعركة مئتي قتيل ومئتين وسبعة وثمانين أسيراً"[1]. وفي هذه المعركة كانت الخسائر في الجيش الأردني أربعة عشر شهيدا بينهم الشهيد مفلح العدوان[2].

كانت طفولة العدوان في بلدة صويلح غرب عمان حتى أتم المرحلة الإعدادية، ثم انتقل إلى عمان عام(1960)م، وبعد ثلاث سنوات أنهى المرحلة الثانوية، بعد ذلك عمل معلماً في المملكة العربية السعودية، وفي عام (1964)م انتسب إلى دراسة الفلسفة في جامعة بيروت العربية، ثم انتقل إلى الدراسة في جامعة الإسكندرية، وتخرج فيها حاصلاً على شهادة البكالوريوس في الاقتصاد عام(1974)م. فقد كان العدوان صاحب ايديولوجية قومية، شارك في حرب السبعينات، وساند القضية الفلسطينية، وتمثل ذلك في جل أعماله، خاصة في روايته (وجه الزمان).

عمل طاهر العدوان في الإذاعة الأردنية (كاتب تعليقات)، وعمل في جريدة الرأي فور صدورها محرر صحفي و كاتب في قسم الأخبار وفي الإذاعة والتلفزيون، وفي فترة عمله في التلفزيون اندلع خلاف بين مجموعة من الصحفيين ووزير الإعلام، وقد دفع هذا الوضع العدوان

---

(1) الأزرعي، سليمان(2002). فلسطين في الرواية الأردنية، ط1، ص93، دار مجدلاوي،عمان.
(2) ينظر: المصدر نفسه: ص93.

إلى ترك البلد، والذهاب إلى بيروت حيث مكث فيها أربع سنوات عمل في الصحافة اللبنانية والكويتية، ثم انتقل إلى العمل في الإعلام الفلسطيني مدة سنتين حتى عام (1982)م، حيث كان في تلك الفترة مدير إذاعة صوت فلسطين في بيروت، ولكنه لم يطل المكوث فيها، وسرعان ما غادرها إلى قبرص، وذلك بعد حصار اليهود لبيروت، حيث مكث فيها عاما، ثم عاد إلى عمان.

شغل العدوان عدة مناصب وأعمال منها:

- 1983-1989 م عمل كاتباً في الصحف الأردنية.
- 1989-1997 م عمل كاتباً عمود في صحيفة الدستور.
- 1997-1999 م شغل منصب رئيس تحرير العرب اليوم.
- 1999م عمل كاتباً في جريدة الرأي.
- 2000-2011 م شغل منصب رئيس تحرير العرب اليوم.
- 2011 م شغل منصب وزير الإعلام الأردني.
- 2012م شغل منصب رئيس مجلس إدارة صحيفة المقر الإلكترونية وله عمود فيها، وما يزال.
- عضو نقابة الصحفيين الأردنيين.
- عضو رابطة الكتاب الأردنيين واتحاد الأدباء والكتاب العرب[1].

(1) لقاء مع الكاتب بتاريخ 3-3-2013م.

قومية طاهر العدوان

كان طاهر العدوان ذا أيديولوجية قومية عربية، وخاصة تجاه القضية الفلسطينية التي جعلت منه فدائيا يدافع عن حقوقها مبتعدا بأفكاره عن الإقليمية.

تعريف القومية:

" هي مجموعة مترابطة من المعتقدات الجماعية بوجود روابط عرقية أو ثقافية أو لغوية أو روحية مشتركة، وأن هذه الروابط تعطي أصحابها الحق في مشروع مجتمعي خاص بهم بم في ذلك إنشاء كيان سياسي متميز، أو مستقل عن غيره من الكيانات المجاورة"[1].

وقد" برز مصطلح القومية في الفكر السياسي العربي أوائل القرن العشرين وخصوصاً بعد ثورة الشريف حسين، فقبل هذه الفترة، وهذه الثورة التي أعلنت انفكاك العرب عن الدولة العثمانية، كانت تستخدم مصطلحات أخرى للدلالة على مصطلح القومية، مثل"الجنسية "و"العصبية"، وكانت هاتان الكلمتان لا ترتقيان إلى مستوى مصطلح ومضمون اللاحم الاجتماعي لشعوب الدولة العثمانية آنذاك،"الملة"الاسلام"[2].

فقد كانت هزيمة حزيران 1967م، أقسى ايلاماً على الإنسان العربي من هزيمة 1948م، وخاصة على الشعب الفلسطيني، حيث اعترفت كثير من القيادات العربية بالهزيمة، وفي هذه المرحلة ظهر العمل الفدائي في الأردن أي عقب هزيمة حزيران، على شكل مجموعات مسلحة، هدفها التعرض للعدو ولمؤسساته المدنية والعسكرية، وانهاكه مع إبقاء الهدف الرئيسي لعملها،

---

(1) قطيشات، ياسر، (2009)، العلاقات السياسية الأردنية- العربية في ظل متغيرات النظام الإقليمي العربي من أيدلوجيا القومية إلى النزعة القطرية 1952-2004م، ط1، ص 31، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع.

(2) الخطيب، محمد، (1994)، القومية والوحدة- القسم الأول- الجزء الأول المقالات، ط1، ص7، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق.

وهي ابقاء القضية الفلسطينية حية في الوجدان القومي، وكان طاهر العدوان من الذين شاركوا في المنظمات الفدائية الشرعية.

لقد استقبل الشعب الأردني العمل الفدائي(المقاومة) بالدعم والتأييد، وكل مشاعر الحب والوفاء، كما دعمه الجيش الأردني وقدم له كميات كبيرة من الأسلحة، وحماه في أكثر عملياته عند عبوره للأرض المقدسة المحتلة، وعند عودته.

وقد انضمت إلى هذه المقاومة جماعات كثيرة ... لم يتوافر عند الكثيرين منها الإخلاص للعمل الفدائي الحقيقي الجاد،وكان هؤلاء من المرتزقة الذين يجدون أن الانضمام إلى المقاومة من شأنه أن يوفر لهم دخلاً محترماً، وسلطة ونفوذاً، وتحقيق طموحاتهم الشخصية، حيث يرى سعيد التل أن العدو الصهيوني قد دسَ بعض عملائه بين صفوف المقاومة، لكي يتعرف مسبقاً على خططها ونشاطاتها، وأعمالها، ولكي يشوه صورتها، ويخلق جواً عدائياً لها، وقد نجح في هذا المجال نجاحاً كبيراً.

لقد أصبح المواطن الأردني،الذي دعم المقاومة وحضنها وأيدها، أردنياً كان أم فلسطينياً، أصبح يعاني من تصرفات وسلوكيات بعض أفرادها، وعندما اشتد ساعد المنظمات الفدائية غير الشرعية، بدأت تشارك السلطات الشرعية وهي الجيش الأردني والأمن العام في الحكم حيث وصلت الأمور لفقدان هوية الأمن وهيبة الحكومة [1].

---

(1) ينظر: التل، سعيد، (1986م)، الأردن وفلسطين وجهة نظر عربية، ص56-60، اللواء للنشر والتوزيع.

جهوده وأعماله الروائية:

يعد العدوان أحد كتاب جيل المؤسسين في مجال الرواية، الذين ظهروا في السبعينات. والرواية عنده معبرة عن هموم الإنسان وقضاياه، وعن هموم الوطن، حيث يمتلك هذا الروائي طاقات إبداعية، ويتمتع بموهبة أدبية، ولديه خبرة سياسية ووعي اجتماعي، انعكس في رواياته التي نال بعضها جوائز أدبية.

حيث" يغلب على الروائيين في تجاربهم الأولى انتخاب مادتهم الروائية من خبراتهم و معارفهم الشخصية أو من تجارب من يحيطون بهم "[1].

" وقد حاول طاهر العدوان، وهو يبحث عن عالمه الروائي وسط أحداث عرفها في حياته الأولى أو تخيلها، أن يبني عالماً من خلال خبرته الشخصية التي تلهمه دفء الموضوع وحيويته، ليضيف إلى الروايات التي استلهمت المكان بحيويته وحرارته في شرقي الأردن كما فعل من قبله عدد من الروائيين"[2].

- رواية (وجه الزمان).1987م
- رواية (حائط الصفصاف).1989م
- رواية (أنوار).2000م

وهي روايات ذات رؤية جيدة، وبنية فنية ناضجة.

---

(1) السعافين، إبراهيم، (1995)، الرواية في الأردن، ص75، منشورات لجنة تاريخ الأردن.
(2) المصدر نفسه، ص75.

رواية (وجه الزمان):

هي "أكثر الأعمال الروائية الأدبية التي تعبق بـأريج تـراب الـوطن ورائحـة عـرق فلاحيه"[1]. حيث " يقوم طاهر العدوان من خلالها بتقديم وثيقة اجتماعيـة، تاريخيـة، ترصـد وتسجل بنية المجتمع الأردني في تكوينه خلال السنوات السبع الحاسمة، التـي سـبقت النكبـة الفلسطينية الكبرى عام 1948م، ونكتشف من خلال الرواية الجذور الحقيقة للهزيمة التـي مـا تزال تعصف بالأمة العربية في كل مكان، وعلى المستويين الوطني والطبقي معـاً"[2]. وهـي رواية تتحدث عن الانتداب البريطاني في تلك الفترة، وتأسيس الجـيش الأردنـي، ودور هـذا الجيش في الدفاع عن فلسطين، فهي أول عمل روائي يكشف المعاناة التي يواجهها الفلاح مـن فقر ومرض وجهل وحرمان، وما يلاقيه هذا الفلاح الكادح من طمع المرابين، وجشع المستغلين والمحتكرين الذين يسرقون تعبه و كده [3].

فالزمان عند طاهر العدوان " وجه واحد والظلم واحد مهما اختلفت الأماكن"[4].

لعل أول من تكلم عن هذه الرواية هو المرحوم مؤنس الرزاز إذ كتب على غلافها الأخير أن اهتمامه بها؛ يعود إلى " أننا بحاجة لمثل هذه الرواية من حيث هي وثيقة اجتماعية عن الحياة في الريف الأردني"[5].

---

(1) زلوم، حموده (1995). في الرواية الأردنية،ط1،ص49، المكتبة الوطنية.

(2) الفياض، سعود وآخرون، (1996)، ندوة بعنوان العلاقات الأردنية- الفلسطينية ابداعياً (رواية وجه الزمان) نموذجاً (للروائي طاهر العدوان)، ص 4، منتدى عبد الحميد شومان الثقافي.

(3) ينظر :مصدر سابق:زلوم، حموده، في الرواية الاردنية، ص49.

(4) مصدر سابق: الأزرعي، سليمان، فلسطين في الرواية الاردنية،ص88.

(5) قراءة في كلام على رواية وجه الزمان.

www.sahafi.jo/arc/art1.php?id=137ccda0f70898472a3304270bc75d4924408f4

نقل العدوان في هذه الرواية" صورة التشرد والنزوح ومعاناة الشعب الفلسطيني من الخارج، ومن الداخل، نقلها من أعماق الشخوص في روايته، ووحد بينها وبين تجربة تهجير الفلاح الأردني، الذي وقع في أنياب المرابي الوحش خارج المفهوم السياسي الشائع للوطن"[1].

ويرى إبراهيم خليل " أنها تقوم أساساً على نفي تجزئة والتفرقة القطرية أو الإقليمية، ومع أنها ترسخ الرابطة القومية، من خلال التركيز على وحدة الدم الذي أريق في القدس وما حولها ووحدة المصير من خلال التآخي، والتآلف بين ضيف الله اللاجىء في وطنه، وأبي تيسير اللاجىء من فلسطين إلى الأردن[2]، و لعل الرسم الصادق في التعبير عن صورة الواقع الذي عاشه الشعب الأردني والفلسطيني في هذه الرواية هو الذي لفت نظر جلالة الملك (الحسين بن طلال)- طيب الله ثراه – فأمر بإنتاج هذه الرواية تلفزيونياً[3].

رواية(حائط الصفصاف):

كتبها عام (1990)م، يتحدث الكاتب فيها عن المعركة التي دارت بين الجيش الأردني وجيش العدو الاسرائيلي في منطقة الخليل في فلسطين في فترة الخمسينيات. فهي" لوحة حية نابضة لمجتمعنا الأردني القومي، ترجمت توقه في الخلاص من القيادة الأجنبية لجيش بلاده خلال فترة الانتداب، وما عاناه الوطنيون الأحرار من أفراد جيشنا الوطني من سيطرة العنصر الأجنبي على قيادته. وما جرّته عليه تلك القيادة من كوارث خلال حرب فلسطين، رغم تضحياته، وبطولاته، واستبساله المشهود في الدفاع عن أرضه العربية"[4].

---

(1) مصدر سابق:، الازرعي، سليمان، فلسطين في الرواية الاردنية ص91-92.

(2) الفياض، سعود وآخرون، (1996)، ندوة بعنوان العلاقات الأردنية- الفلسطينية ابداعياً (رواية وجه الزمان) نموذجاً (للروائي طاهر العدوان)، ص16، منتدى عبد الحميد شومان الثقافي.

(3) لقاء مع الكاتب بتاريخ 3-3-2013م.

(4) الأزرعي، سليمان، (1997)، الرواية الجديدة في الأردن، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص216.

" لقد هيمن الخيار الأيديولوجي في "حائط الصفصاف" على الخيارات الواقعيـــة الحيـــة، فمثلت الرواية خطوة إلى الوراء على المستوى الفني"[1]، كما يرى نزيه أبو نضال.

وقد " مرت الرواية مرور الكرام ربما بسبب توقيت نشرها بعد حـــرب الخلـــيج الثانيـــة مباشرة، ولم ينتبه لها أحد، فظل طاهر العدوان معروفاً برواية يتيمة هي (وجه الزمان) وكـــاد الكثيرون يظنونه انتهى روائياً"[2].

تعكس رواية حائط الصفصاف ذلك الترابط الذي ينظم كل العمليات الاجتماعية والسياسية الناتجة في الأصل عن الوعي الجديد – للشخوص – بالمرحلة الذي ابتليت بها، ولهـــذا ظلـــت القضية الفلسطينية والمشهد المأساوي للمجهريين الفلسطينيين يترددان بين الحين والآخر، إلـــى جانب بقية القضايا الوطنية والقومية"[3]، وقد أُ خرجت في عمل إذاعي، ولكن ما أُخذ على هـــذه الرواية أنها لم تلاق ذاك الاهتمام الذي يتوقعه العدوان.

رواية (أنوار):

تدور أحداث الرواية بالحديث عن منطقة الخليج العربي، وعن المغتربين العـــرب الـــذين يعيشون فيها[4]، وهي تختلف عن الروايتين السابقتين (وجه الزمان) و (حائط الصفصاف)، حيث كان محيط الروايتين هو الأردن وفلسطين، و لكن في رواية (أنوار) كان العالم العربي محيطها.

---

(1) مصدر سابق: أبو نضال، نزيه، علامات على طريق الرواية الأردنية،ص40.

(2) حوار مع العدوان: أهل الخليج كانوا دائماً في طليعة الأمة العربية في التصدي للمخططات اليهودية. أجرى الحوار الكاتب موسى حوامدة.

www.alriyadh.com/contents/12-06-2002/mainpage/thkafa_373.php

(3) مصدر سابق: الأزرعي، سليمان،فلسطين في الرواية الأردنية، ص93-94.

(4) لقاء مع الكاتب،3-3-2013.

تختلف الروايات الثلاث في أبطالها، لكنها تشترك في الأجواء الأساسية وهـــي: القــضية الاجتماعية و الهم الوطني والقومي،.

ذهب الكاتب في هذه الرواية إلى مجتمع الخليج، غير مبتعد عن القضية الفلسطينية وبلاد الشام، ولكنه نقل تأثير وجود أشخاص من مجتمعات عربية في تلك البيئة، و تأثيرهم على الحياة هناك[1].

(1) ينظر: مصدر سابق:، حوار موسى حوامدة.

الفصل الثانـي

المضامين الروائية في روايات طاهر العدوان

- **المبحث الأول: المضامين الاجتماعية**
- **المبحث الثاني: المضمون السياسي للقضية الفلسطينية في روايات العدوان**

الفصل الثاني

المضامين الروائية في روايات طاهر العدوان

يتناول الفصل الثاني من هذه الدراسة المضامين الروائية في روايات (طاهر العدوان)، منكباً على الدراسة النصية للروايات، ومواقف بعض النقاد تجاه الروايات التي يتطلبها الموقف.

المبحث الأول: المضامين الاجتماعية

" ليس من شك في أن الرواية تطرح موضوعاً أو قضية ما، تناقشها وتعالجها وتشرح جوانبها بكل دقة وجدية، وهي في دقتها وجديتها وشموليتها تكاد تفوق الشعر والمسرح والقصة القصيرة، فقد آن للرواية أن تصبح ضمير المجتمع، ولوحه الذي يقرأ عليه همومه ومشاكله وقضاياه، وإلا فستصبح الرواية هراء، أو مجرد ألعاب فنية لا أكثر "[1].

يتجه الروائيون إلى تصوير الحياة الواقعية للمجتمع ومعالجتها بطرق مختلفة حيث نجدهم يتجنبون التطرق إلى الغريب من الأحدث والوقائع، بل يصورون الواقع بما يشمل من إيجابيات وسلبيات. ومن هذا المنطلق استطاع الكاتب الأردني (طاهر العدوان) من خلال أعماله الروائية إبراز الظروف الاجتماعية التي صورت الشخصيات في رواياته، وحددت مصيرها من خلال تصويره لواقع الطبقة الكادحة والفقيرة من طبقات المجتمع الأردني خاصة، والعربي عامة[2].

لقد اختار العدوان الطبقة الفقيرة والمعدمة، لمعرفته بما تعاني من هموم، كون العدوان يسكن في (سهل البقعة) وهو المكان الذي كان رئيسياً في وقوع الأحداث في روايتي(وجه الزمان) و (حائط الصفصاف).

---

(1) قويدر، عيسى، (1984م)، عبد الرحمن منيف روائياً، ص20.

(2) ينظر، الطراونة، بهارة، (2012م)، هزاع البراري روائياً، ط1، ص41، دار أزمنة للتوزيع والنشر.

وعند دراسة المضامين الاجتماعية في أعمال (العدوان) فإننا نلمح كثيراً من الظواهر المتداخلة البارزة في المجتمع وقد برزت موضوعات أساسية في أعماله.

1. الفقر والربا

بدا هذا المضمون عند العدوان في روايتي:

أ. وجه الزمان

ب. أنوار

أ. دراسة مضمون الفقر والربا في رواية " وجه الزمان"

"تدور أحداث رواية " وجه الزمان" في المنطقة الريفية قرب بلدة صويلح، مع بداية الأربعينات، إذ بدأت مصائر أفراد قبيلة منطقة البقعة تتأثر مباشرة بعوامل جديدة عدا المطر والجفاف والمرض، فإمارة شرق الأردن أخذت تبرز فيها ملامح حكومية مركزية قوية تصادر الأرض، لصالح المرابين، وتسجن من يتمرد على قراراتها"[1]. حيث تظهر شخصية ضيف الله ذاهباً للعمل في فلسطين جراء الفقر، إلا أنه يعود خالي الوفاض، لعدم تحمله العمل في مزارع البرتقال، فقد حالت طبيعته البدوية بينه وبين هذا العمل.

" اعتادت قبيلة ضيف الله على اقتراض حاجاتها من دكان عليان مقابل صكوك يوقعونها على أن يكون السداد على البيدر، ولكن مواسم الجفاف تتوالى، مما يضطر الناس لتأجيل ديونهم إلى العام القادم مقابل فوائد إضافية يفرضها المرابي عليان"[2].

---

(1) ماضي، شكري (2001)، الراوية في الأردن، ص264، جمعية عمال المطابع التعاونية.

(2) المصدر نفسه: ص265.

" نجد أن ضيف الله الابن الأكبر، يختار الزراعة مهنة له، وتصور الرواية معاناته وعذاباته مع الأرض والمستغلين، وتظهره متمتعاً بوعي حاد حين يربط بين مأساة أسرته الشخصية، وبين ما يعانيه المجتمع عامة، فهو يرد سبب وفاة شقيقه الأصغر إلى الظروف الصعبة التي وضع فيها عليان المرابي الأسرة، فالمرابي عليان لا يترك للناس شيئاً بعد الموسم إلا ما يقيم أودهم، ويبقيهم على قيد الحياة، وبذا لم تتمكن العائلة من أن تجد ما تغطي به نفقات بضعة أيام إضافية يقضيها في المستشفى ابنها المصاب بضربة محراث في رجله"[1].

حيث يقول ضيف الله:" يا أمي... لو لم يستول عليان على نصف غلتنا هذه السنة، وما قبلها، لكان معنا ما يكفي مصاريف أسبوع أو عشرة أيام أخرى في المستشفى..." [2].

لقد أراد العدوان تجسيد معاناة الطبقة المعدمة، التي تدخل في صراع مع المرابين وأصحاب النفوذ والسلطة، حيث كان موفقاً في اختياره " سهل البقعة" مكاناً لأحداث روايته.

" وتتضافر جهود المرابي وأتباعه، مع ظروف البيئة في التضييق على الناس، ودفعهم إلى التخلي عن الأرض، لكن إيمانهم بإرث أجدادهم يظل أقوى من كل المصاعب، بل إن التمسك بالأرض يقود بعض الشخصيات إلى عصيان سافر ضد استيلاء المرابي على الأرض"[3].

حيث يتعهد المرابي عليان بالانتقام قائلاً" لقد جاء موعد الثأر لن انتظر الحصاد القادم... فقد يكون موسم خير يضع بين أيديهم ما يمنع عني فرصة العمر... سأعود حاملاً أمراً بالحجز والاستيلاء على أرض فاطمة وأولادها"[4].

---

(1) حداد، نبيل، (2003)، الراوية في الأردن فضاءات ومرتكزات، ص62،عمان، وزارة الثقافة.

(2) العدوان، طاهر، (1987م)، وجه الزمان، ص36دار الكرمل للنشر.

(3) مرجع سابق:حداد، نبيل، الرواية في الأردن مرتكزات وفضاءات، ص63.

(4) مرجع سابق: العدوان، طاهر، وجه الزمان، ص123.

لقد دفع عامل الحرمان والجوع والفقر بضيف الله إلى التمرد الفردي، فأصبح يقاوم هــذا المرابي، بدليل أنه أخذ بارودته وركب الفرس وغاب، وأيضاً عندما قال سعود لزوجتــه آمنــة "أنت لا تعرفين ضيف الله... هو والشر إخوان... يا خوفي من سواد الليل"[(1)].

وفي الليل" حدثت ضجة وبلبلة في السهل، بعد سماع إطلاق نار تبين فيما بعد، أنه مــن ضيف الله الذي هاجم سعود وتبادل معه إطلاق النار، نفقت بعض المواشي والحيوانــات لكــن أحدهم لم يصب"[(2)].

نستنتج مما سبق أن الرواية يغلب عليها الطابع الكلاسيكي والواقعي، حيث تُبــرز حيــاة الناس الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

ب. الفقر في رواية أنوار

الغنى والهروب من الفقر ولد طاقات إبداعية في الحياة، تسير في مسارين:

المسار الأول:

يتمثل في محاولة تحسين نوعية الحياة، والمتمثل بالشخصية الرئيسية في الرواية، والتــي يدور محور الرواية حولها وهي شخصية (أنوار) وتتمثل أيضاً في الشخصيات الثانويــة وهــي شخصية (المعلمين) المغتربين في أرض المرجان بحثاً عن التغيير لتحسين أوضاعهم المادية.

---

(1)مرجع سابق: العدوان، طاهر، وجه الزمان ص130.

(2) المصدر نفسه، ص139.

المسار الثاني:

وهو المسار السلبي المتمثل في الجشع والطمع والتخلي عن الأخلاق والبعد عن الـدين، الذي كان من أوضح صوره (والدة أنوار) و(حسن السامر) فكانت والدة أنوار تجسد الشخصية التي خضعت لمغريات المال.

تدور أحداث رواية (أنوار) في منطقة الخليج العربي، وبالتحديد في قرية (المرجان)، وقد اتسمت هذه الرواية بأبطال أجانب، ولم تقتصر على أبطال أهل المنطقة، حيث حـاول (طـاهر العدوان) رؤية مدى تأثير وجود أشخاص من مجتمعات عربية في تلك البيئة.

وقد نرى أن الفقير خاسر أمام جبروت الغنى، فهذه (أنوار) ذات السـابعة عـشر ربيعـاً تتزوج من رجل يكبرها بستة وثلاثين عاماً، أمام مغريات المال، وطمع والدتها التي تقنعها بأن تتزوج بهذا الرجل فتقول:" هل سمعت يا أنوار عن فساتين الحرير الناعمة مثل خد طفل رضيع؟ هل سمعت يا أنوار بأساور الذهب وعقود اللؤلؤ وأقراط البلاتين؟

هل سمعت بالثراء والنعيم؟"[1].

كل هذه الجمل من الكلام المُعسول الذي تسمعه الوالدة لابنتها لكي تقبل بالعريس الثـري، فكبر السن لا يعيب الرجل في نظر الوالدة لقولها:" الرجل يا ابنتي لا يعيبه إلا ما في جيبه"[2].

تزوج (حسن السامر) من (أنوار الياسميني)، " وزفت إليه أنوار في دمشق، طار بها إلى مصر في شهر عسل طويل، طاف بها على الملاهي والشواطئ فـي القـاهرة والإسـكندرية، اشترى لها فساتين كشفت عن جمال جسدها، وأطلقها أمامه ليلاحقها بعيونه الجائعة"[3].

---

(1) العدوان، طاهر، (2002م) أنوار، ط1، ص8، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان.
(2) المصدر نفسه: ص 8.
(3) المصدر نفسه، ص11.

شخصية (حسن السامر) كانت فقيرة قبل عشر سنوات " إذ عثر على النفط في المرجان قبل أكثر من عقدين، إلا أن الفقر والشقاء لم يفارقها إلا من عشر سنوات"[1].

لكنه لم يكن يستطيع أن يتجنب قائد الشرطة (سعد الشمراوي) في بلدة المرجان، وهذا بالنسبة له مأساة شديدة، " لأنه لولاه لما استطاع أن يعيش هذا الثراء"[2]. حيث كانت تجارة السامر جميعها بالمحرمات، وبالطرق غير الشرعية، إضافة إلى تجارته (بالويسكي)، وكل هذا العمل غير المشروع، كان يسير بسلاسة، لأن (سعد الشمراوي) مدير مركز الشرطة، يؤمن للسامر الغطاء الكامل له، فهذا الجانب من شخصية السامر يذهب به إلى سلبيات كثيرة، وهي البعد عن العادات والتقاليد الإيجابية التي يمتاز بها أهل الخليج، والبعد الديني كونه يعتنق الدين الإسلامي الذي يحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لكن كثرة المال والثراء تجعل من السامر إنساناً ساذجاً، لا يكترث لشيء، يبتعد عن عاداته وتقاليده في مسألة الزواج، عندما تزوج بفتاة يكبرها بستة وثلاثين عاماً، ويتاجر بالويسكي، وهذا محرم شرعاً.

أراد الكاتب أن يظهر في هذه الرواية أثر الثراء والغنى على بعض أصحاب النفوس المريضة الذين يجدون في المال وسيلة لتحقيق مآربهم، لا ينظرون لدين أو عادات فهم ينظرون إلى إشباع رغباتهم، وهذا ما وجدناه في شخصية (السامر)، وعلى عكس شخصية (السامر) نرى في الرواية شخصيات تبحث عن المال بطرق شرعية غير منافية للدين والأخلاق والعادات وهي شخصية (المعلمين) كريم السعد وماجد صفوان، اللذين تغربا عن أهلهم في الأردن وسوريا للذهاب إلى الخليج، ليمارسا مهنة التعليم، ولجني المال الذي يسد ثغرات من حياتهما.

---

(1) مصدر سابق:العدولن،طاهر،أنوار، ص11.

(2) المصدر نفسه، ص11.

لقد أراد الكاتب في هاتين الروايتين تجسيد شخصيات إيجابية، وشخصيات سلبية، فالأرض والعرض لا يتخلى العربي عنهما بسهولة، ولكن الفقر والحرمان جعلت ضيف الله في رواية (وجه الزمان) يتخلى عن أرضه للمرابي عليان، وفي رواية (أنوار) رأينا تخلي (والدة أنوار) عن المبادئ والعادات والتقاليد، بسبب الفقر والحرمان والجوع، إذ تلقي بابنتها في الجحيم لتحصل على المال والثراء.

2. العادات والتقاليد (الزواج)

لقد وظف العدوان العادات والتقاليد في رواياته الثلاث:

- وجه الزمان.
- أنوار.
- حائط الصفصاف

لكي يتمكن من استكمال الشخصيات في رواياته، ويسوغ الأحداث، ويطور الحقائق في بيئة متخلفة، حيث يرصد في رواية (وجه الزمان) التحول من مجتمع بدوي إلى مجتمع قروي، حيث يتمثل هذا التوظيف للعادات والتقاليد في روايته (وجه الزمان) في زواج ابن العم من ابنة عمه، فقد تزوجت فاطمة من ابن عمها " وعندما بلغت الحادية عشرة من عمرها، زفت عروساً إلى بيت ابن عمها"[1].

وكذلك تزوج ابناها ضيف الله وأحمد من بنات أعمامهم.

---

(1)مصدر سابق: العدوان، طاهر، وجه الزمان، ص12.

" وغالباً ما لا يبادر الشاب في الوسط الشعبي الأردني بطلب الزواج، وإنما تبدأ الرغبة من الأبوين اللذين يعمدان إلى تزويج ابنهما لأسباب كثيرة أهمها طلب (العزوة)، وتكون الفتاة مناسبة على قدر عزوتها، ومدى نفوذهم وسطوتهم في القرية والربع"[1].

حيث يتبع ذلك خطبة العروس من أهلها بأن يذهب عدد من أفراد القبيلة وتسمى (الجاهة) بطلب العروس من والدها حيث يتم وضع فنجان القهوة أمام كبير الجاهة، فيمتنع عن شربه حتى يقوم والد العروس بالموافقة على طلبه، ومن الجدير بالذكر أن ابن عم العروس يجب أن يكون موجوداً وحاضراً هذه الجاهة، فإذا اعترض على ما جاءت الجاهة من أجله، يقوم بطلب العروس لنفسه، فإن العرف العشائري والعادات العشائرية الأردنية تعطيه الحق في إبطال هذه الخطبة والزواج من ابنة عمه، كما يقول المثل الأردني " ابن العم ينزل ابنة العم من على ظهر الفرس".

فنرى توظيف العدوان لهذه العادات والتقاليد في روايته (وجه الزمان) لعرس ضيف الله فيقول:" احتفلت الديرة بعرس ضيف الله...أقيمت المناسف، وركب الشبان الخيول في سباق متصل على السهل الفسيح أمام بيوت الشعر وشارك أحمد بالقسط الأوفر من إطلاق الأعيرة النارية ابتهاجاً بالمناسبة...تلك المناسبة التي أتاحت له مشاهدة (شيره) كل ليلة طوال أسبوع (التعليلة) وهي فترة لا تتعدى الأسبوع، تسبق موعد الزفاف، حيث يسري الرجال والنساء من منازلهم ليلاً متجهين إلى منزل العريس، يقضون الليل في غناء ورقص متصلين حتى الفجر"[2].

لقد أراد الكاتب توظيف العادات والتقاليد الأردنية في مناسبات الزواج ، وكأن الكاتب أراد أن يبعث برسالة إلى القارىء أن الزواج وطقوسه في فترة الأربعينات كان بسن الزهور للفتاة،

---

(1) تقاليد الزواج البدوي بالاردن http://Nayep.Nawishehd.com/Saltanah.htm

(2) مصدر سابق: العدوان، طاهر، وجه الزمان، ص35.

كزواج فاطمة لابن عمها، وهي في الحادية عشرة من عمرها، وأن الزواج أيضاً لا يكـــون إلا على موسم الحصاد (البيدر).

أما توظيف العادات والتقاليد في رواية (أنوار)، فقد أراد العدوان التطرق إلى مسألتين:

الأولى: الزواج المبكر للفتاة في الوطن العربي.

الثانية: تعدد الزوجات عند الرجل العربي، وخاصة الرجل في الخليج العربي.

في المسألة الأولى أراد الكاتب التطرق لهذه المسألة، والبحث في عواملها، حيـــث كـــان السبب الرئيسي هو الفقر الذي أدى بالأهل لتزويج بناتهم، وخيـــر مثـــال علـــى ذلـــك (أنـــوار الياسميني) وهي الشخصية الرئيسية في الرواية، من رجل خليجي يكبرها بستة وثلاثين عامـــاً، مبتعدين عن عاداتهم وأخلاقهم من أجل المال الذي أعمى أعينهم، وهذا الرجل الـــذي يريـــدون تزويج ابنتهم به، هو رجل غير ملتزم دينياً، بعيد عن الأخلاق، يتاجر بما حرم الله، فهذه المسألة هي مصدر ثراء وغنى لعائلة محرومة فقيرة، مهجرة.

هذه الفتاة صغيرة السن، هي مصدر رزق وثراء" فكرت بوالدها سليم الياسميني، أكثر مما فكرت بزوجها، تساءلت إن كان أبوها الذي يصغر السامر بعشر سنوات على الأقل سعيداً فعلاً وينام هانى البال في هذه اللحظة التي تحس فيها بأنها تختنق"[1].

وفكرت بوالدتها " درية" وحوارها معها واستعادت التفاصيل كاملـــة، "هنـــاك فـــي بلـــدة المرجان سيكون لك سيارة وربما قصر مليء بالخدم والحشم"[2].

(1)مصدر سابق: العدوان، طاهر، أنوار، ص8.

(2) المصدر نفسه: ص8.

أما المسألة الثانية التي أراد العدوان توضيحها فهي تعدد الزوجات،حيث جسّد شخـصية (حسن السامر)، الذي كان متزوجاَ بامرأتين قبل زواجه بأنوار، وما يدل على ذلك، حواره مع صديقه مدير مركز الشرطة (سعد الشمراوي) في بلدة المرجان، فيقول:" ليس رجلاً من يكتفي بزوجتين"[1].

ويرد الشمراوي قائلاً:" هكذا إذا تدعني للزواج بالثالثة"[2].

وما يلفت النظر، أن زوجة السامر الثالثة (أنوار) نتيجة لصغر سنها، وعدم خبرتها، وعدم معرفتها بأن الزوج يجب أن تصونه الزوجة في غيابه، قامت بخيانته رغماً عنها مع رجل يناسبها، حيث وجدت الحب الذي لم تجده عند زوجها،في الوقت الذي تجد أن زوجها السامر وحش، هذا ما جعلها تبحث عن حب حقيقي، فأنوار خانت زوجها، وبالمقابل لم توفق في حبها الجديد الذي خانت زوجها من أجله، فقد وقعت في شباك رجل لا يهواها بل يهوى جسدها، وهذا الشخص هو الشخصية الثانوية في الرواية (عبدالسلام) الذي كان يعمل معلماً.

وما وقعت أنوار به من ألم وحسرة بأن الرجال يريدون جسدها لا قلبها، جعلها تقابل شخصاً غير هؤلاء(ماجد صفوان) شخص محب لها، يهواها و يعشقها.

فقصة أنوار تذهب بفكر القارئ إلى أمرين:

1. خيانة الزوج.
2. طمع وجشع الأهل أدى بأنوار إلى الهلاك.

هذا الزواج الذي قاد الفتاة الصغيرة، التي لم تنضج، إلى عدم تحمل مسؤولية البيت الذي تعيش فيه، وخيانة زوجها.

---

(1)مصدر سابق: العدوان، طاهر، أنوار، ص12.

(2) المصدر نفسه: ص12.

أما توظيف العدوان لمضمون الزواج في رواية (حـــائط الصفـصاف) ، هنـــاك حـــب ورومانسية وعشق فهي تختلف اختلافاً كلياً، عن رواية (أنوار) بأن مسألة الزواج فـــي روايـــة (أنوار) كانت مبنية على طمع وجشع من قبل الأهل للحصول على المال والثراء، أما في هـــذه الرواية (حائط الصفصاف) فالزواج مبني على حب وصدق وقناعة، لقد وظف العدوان شخصية (جميل السالم) في هذه الرواية، ذلك الرجل الذي خلع (الحطة) التي تمثل رمز العروبة واللـــبس العربي، حيث يدور حوار بينه وبين أخته (مريم).

"ما رأيك يا مريم أن أذهب إلى عملي بدون الكوفية والعقال.

كيف تتجرأ على المشي في الشارع حاسر الرأس...ماذا سيقول الناس؟"[1].

لقد تعجبت (مريم) من أخيها في خلع (الحطة) والعقال عن رأسه، ولكن(جميل)لا يهـــتم لرأي الناس، فهو يتأنق وسيماً على غير عادته، مختالاً بشبابه، وتبدأ قصة العشق والحب بينـــه وبين جارته (سميرة) في موقف الحافلات الساعة السابعة، حيث ينتظر الموظفون الحافلة لتنقلهم إلى مكان عملهم.

(سميرة) تعمل ممرضة في إحدى المستشفيات في عمان، و(جميل السالم) لا يعرف أنها تعمل ممرضة إلا عندما قام بملاحقتها إلى عملها، حيث يظفر منها بموعد وتـــشير عليـــه بـــأن يشتري (إبر) ليأتي إلى بيتها بحجة المرض.

وتدور قصة الحب بين جميل وسميرة، فهذا الحبيب ليس مقتنعاً بحبيبته، وإنما ينتقل لحب جديد حب (ليلى بنت أبي عزمي)، وهي صديقة سميرة في حوار بينهما: بأنها جميلـــة، ولكـــن يجب أن تغير من مظهرها" (شكلك هكذا لا يعجبني...ولا أظنه يعجب من تحبين)لقـــد فتحـــت

---

(1) العدوان، طاهر (1989م)،حائط الصفصاف، ط1، ص16، دار الكرمل للتوزيع والنشر، عمان.

سميرة عينيها على جوانب مخفية من أنوثتها، حدثت نفسها بثقة (أنا أجمل منها، لولا فساتينها وطلاؤها الأحمر، لما كانت أجمل مني)"[(1)].

ولكن ليلى تعشق (محمود بن يوسف إبراهيم) الذي يدرس في عمان، حيث يسعى للاشتراك بالحزب، فيسرد محمود للقارىء كيف تعرف على (ليلى) عندما كان هناك صهريج ماء وتعارك مع شباب على الدور ولمحها بالفستان الأخضر حيث تعثرت ليلى وهي تحمل الماء، فاستغل الفرصة وحمل الماء وأوصلها إلى بيتها.

وتتوالى الأحداث حتى فاز محمود بخطبتها، وسافر إلى دمشق، و تأجل مشروع الزواج حتى ينهي دراسته الجامعية، في هذا الوقت يستغل (جميل السالم) ابتعاد محمود بدراسته عن ليلى، بالتقرب إلى والد ليلى مبدياً كل ود واحترام " عمد بذكاء إلى تجنب أية إشارة توحي بأن يفكر في ليلى، أو يحاول التودد إليها"[(2)].

ولكن هذا التودد لم ير فيه تحولاً من قلب ليلى" وإنما رأى خلاله الفتاة وهي تزداد نحولاً وشحوباً كاشفة عن وجد يعصف بفؤادها نحو فتاها الغائب"[(3)].

وبعد عدة أيام أشيع في البلدة أنه تمت خطبة جميل إلى ليلى بعد أن تخلت عن خطيبها، في ظل صمت والدها(أبو عزمي)، حتى والدتها (حليمة) عجزت عن معرفة السبب الذي جعل أبا عزمي يوافق على هذه الخطبة.

---

(1)مصدر سابق: العدوان،طاهر،حائط الصفصاف، ص43.

(2)المصدر نفسه: ص197.

(3) المصدر نفسه: ص 197.

وعند إنهاء محمود لدراسته الجامعية، و عودته إلى خطيبته، فوجئ بأن ليلى قد تمت خطبتها لجميل سالم، وبعد أسابيع كشف عزمي أخو ليلى السبب وراء خطبة أخته لجميل، وهو أن جميل كان يهدد أبا عزمي بإيذاء ابنه عزمي، الذي كان صديقا للسياسي الشيعي (فريد الناجي)، فكان خوف أبي عزمي على ابنه السبب في الموافقة على خطبة ليلى لجميل سالم.

وفي انكشاف هذا السر أسرع عزمي إلى جميل مهددا:" لم تعد خطيباً لليلى، والفتاة ستزف إلى محمود في الخميس القادم"[1].

وفي يوم الخميس يوم زفاف ليلى إلى محمود خرج (جميل سالم) إلى العرس " باغت الجميع باندفاعه، حيث سدد بثبات فوهة بندقيته نحو صدر العروس، وعندما تهاوت ليلى على الطريق إلى العلا، كانت نظراتها ما تزال تشير إلى أنها في شرود"[2].

وفي رواية (حائط الصفصاف) نجد أن الكاتب العدوان جعل من أحداثها قصة مثيرة، ابتداء من حب جميل لسميرة، مرورا بتقلب مشاعره وحبه لصديقة سميرة (ليلى)، وانتهاءً في يوم زفافها.

---

(1) مصدر سابق: العدوان، طاهر، حائط الصفصاف ص229.

(2) المصدر نفسه: ص234.

المبحث الثاني: المضمون السياسي للقضية الفلسطينية في روايات العدوان

لقد كان وعد بلفور الصادر في 2 تشرين الثاني عام (1917م)، يقضي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، لذلك كان هذا التحدي جديداً على الأمة العربية عامة والشعب الفلسطيني خاصة[1].

" وبحكم المسؤولية القومية المشتركة، وانطلاقاً من وحدة المصير المشترك، مدّ الشعب الأردني يد العون والدعم والتأييد إلى شقيقه الشعب الفلسطيني، رغم الظروف الصعبة التي كان يعيشها الشعب الأردني آنذاك، إذ كان تحت سيطرة الانتداب البريطاني"[2].

لقد شارك الشعب الأردني بكل ما يملك في جميع الانتفاضات والثورات التي قام بها الفلسطينيون" إن مهاجمة القبائل الأردنية للمستعمرات اليهودية في نيسان (1920م)، مساندة للعرب الفلسطينيين في أول صدام رئيسي لهم مع اليهود، كانت باكورة هذا الدعم الأردني للشعب الفلسطيني"[3].

" وكان كايد مفلح العبيدات من كفر سوم أول شهيد أردني على ثرى فلسطين. وقد استمر هذا الدعم طيلة فترة الانتداب، وحينما أقرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة تقسيم أرض فلسطين بين العرب واليهود، في 19 تشرين أول سنة (1947م)، كان المتطوعون الأردنيون طليعة من لبوا نداء الواجب العربي لنصرة أشقائهم الفلسطينيين لمنع تقسيم بلادهم"[4].

---

(1) ينظر: التل، سعيد، (1986م)، الأردن وفلسطين وجهة نظر عربية، ص26،دار اللواء للنشر والتوزيع.

(2) المصدر نفسه، ص26.

(3) قاسمية، خيرية، (1971م)، الحكومة العربية في دمشق، ص182،دار المعارف بمصر، القاهرة، نقلاً من كتاب الأردن وفلسطين وجهة نظر عربية.

(4)مصدر سابق: التل، سعيد، الأردن وفلسطين، وجهة نظر عربية، ص27.

لم يكن الأردني بغائب عن الأحداث السياسية والقومية التي مرت الأمة العربية بها، وخاصة القضية الفلسطينية التي شاركها بثوراتها وانتفاضاتها ضد العدو الصهيوني،لذلك كانت الرواية الأردنية منذ نشأتها الأولى تحمل الهم القومي والوطني و تدعو إلى التمسك بالأرض وحب الوطن، في ضوء الهيمنة الصهيونية، وعرضت فكرة الدفاع عن الوطن، وركزت على الانتماء الوطني والقومي عقيدة وسلوكاً، ومن هنا فإن الكاتب الأردني يعكس رؤاه وأطروحاته عبر إبداعاته التي ينتمي إليها سعياً إلى تشريع الواقع المأساوي الذي حل بالإنسان العربي، والويلات التي يلاقيها سواء من الداخل أو من قوى الظلم والاستعمار[1].

" ولعل القضية الفلسطينية تمثل الجوهر الحقيقي لهذه الأحداث والمحور الأساسي التي دارت حوله عملية الصراع العربي الإسرائيلي وهي تعد القضية الأولى التي تعطي للأدباء والشعراء مجالاً رحباً للتعبير عن المواطن والمشاعر"[2].

استطاع العدوان أن يعبر في أعماله، عن هذه المعاناة، وعن مساندة الشعب الأردني للشعب الفلسطيني، ففي رواية (وجه الزمان) " أكد من خلال وحدة مشهد التهجير أن للزمان وجهاً واحداً، فالظلم واحد مهما اختلفت الأماكن، والمهجرون من أرضهم في فلسطين ونزحوا عنها، أو استولى عليها المرابي في (سهل البقعة) الأردني، وهجر أصحابها منها... كلهم ضحايا...وهم مهجرون.. والعدو واحد، سواء سقطت ضحاياه بقرار سياسي أثر توسع نفوذ وتعزز رأس المال الربوي، أو بأثر المذابح الجماعية، وهكذا جاء للزمان وجه واحد عند طاهر العدوان"[3].المهم الأرض.

---

(1) ينظر: الفاعوري، صبحي (1999م)، أثر السياسة في الرواية الأردنية، ط1، ص29، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(2)مصدر سابق: الطراونة، بهارة، هزاع البراري روائياً، ص65.

(3) الأزرعي، سليمان، (2002م)، فلسطين في الرواية الأردنية، ط1، ص88، دار مجدلاوي، عمان.

لقد ترجم العدوان في خاتمة روايته عندما جمع بين بيت (خليل عبد البـــاقي) المجاهــد الفلسطيني المهَجر، وبيت (ضيف الله) الذي أخرجه (عليان) المرابي من سهل البقعة إذ استولى على أرضه، فنزح ضيف الله إلى (صويلح) مع والدته وأبناء شقيقه (أحمد العلي) الذي سقط في معركة (كفار عصيون) دفاعاً عن منطقة (الخليل) [1].

"لقد كان الفلسطينيون يخرجون من أرضهم، وفقراء الفلاحين في سهل البقعـــة يغـــادرون السهل تاركين أرضهم للمرابي، حيث يلتقي الجمعان في بلدة صويلح، ويتقاسم ضيف الله وأسرة المُهجر الفلسطيني (أبي تيسير) البيت ولقمة العيش، ويتوحدان في المأساة، فيما يتوحد (اليهود) والمرابون في الجريمة، ذلك وجه الزمان، عند طاهر العدوان"[2].

يقول عبد الباقي:

لقد سمعت باستشهاد أخيك في معركة كفار عصيون، إنها معركة بطولية، أنقذت منطقـــة الخليل بأسرها... وإن من استشهد فيها هم ولا شك أبطال نفخر بهم وتفتخر بهم الأمة العربيـــة الإسلامية...

شدت ضيف الله لهجة محدثة، عرف أنه مع شخص يختلف عن(أبو تيسير) التفت إليه...

انتهى الجهاد في فلسطين.

لا لم ينته.. إننا في هدنة وسنعود للقتال خلال أسابيع...

هدنة أيش...قاتلوا وإلا ستضيع أرضكم مثل ما ضاعت أرضنا.

---

(1) ينظر: الأزرعي، سليمان، (1997م)، الرواية الجديدة في الأردن، ط1،ص209،المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(2) المرجع نفسه، ص209.

رفع خليل عبد الباقي حاجبه مندهشاً:

الأخ من فلسطين... أبو تيسير قال لي:

قاطعه أبو تيسير:

الأخ من سهل البقعة... أنه يقصد قصة تخص عائلته.

لقد استولى المرابي على أرضهم وكان يعد العدة مع أخيه الشهيد لاستعادتها..بعد جمع قيمة الدين.

قطب حاجبه، ووضع يده على كتف ضيف الله قائلاً:

مصيبتك هينة يا أخي.

أزاح يده عن كتفه:

كيف هينة.. الأرض راحت، وأخي راح.

أجاب خليل عبد الباقي محاولاً الابتسام:

لكن أنت في وطنك... وإن ضاعت منك الأرض تستطيع شراء غيرها.

انفعل أكثر بصوت عالٍ:

كلام يا مجاهد اللي ماله أرض ما له وطن..

قال خليل عبد الباقي بعد لحظة صمت:

الأرض مادة تخضع للبيع والشراء.. للخسارة والربح..

أما الوطن فهو دمك.. لسانك جلدك..هويتك..

أنت تسعى وراء أرض... ونحن نسعى إلى أرض ووطن.

لكن أحمد سال دمه في كفار عصيون... لا أرض له هناك ولا وطن[1].

---

(1) مصدر سابق: العدوان، طاهر، وجه الزمان، ص179-180.

من هذا الموقع ومن خلال المنطق عند العدوان يجمع بين المشهدين، المشهد الأول وهو تهجير ضيف الله من أرضه نتيجة بشاعة رأس المال الربوي والمشهد الثاني تهجير الفلسطينيين من أرضهم أثر الاحتلال الذي وقع عليهم.

مفهوم التهجير عند ضيف الله

" يقول المثل العربي الديرة تطلب أهلها وإن طال الزمان.

قاطعه خليل عبد الباقي:

الوطن....

قاطعة ضيف الله وهو يقف نافضاً الغبار عن ردائه:

الوطن راية وتحية عسكرية... هذا عند الحكومة.. عندي الوطن.. هو أرضي..يوم نحمي أرضنا نحمي وطننا..

أقول لك يا مجاهد عبي بارودتك واقعد فوق أرضك وإن مريت على كفار عصيون أهدي السلام إلى روح أخي أحمد.

ثم نادى على الشيخ عودة:

يا شيخ عودة.. ما كان لازم نترك السهل.. أين بارودتي يا خال.. أين بارودتي يا خال"[1].

" لقد نقل العدوان في روايته (وجه الزمان) صورة التشرد والنزوح ومعاناة الشعب الفلسطيني من الخارج والداخل نقلها من أعماق الشخوص في روايته. ووحد بينها وبين تجربة

---

(1) مصدر سابق: العدوان،طاهر، وجه الزمان، ص182.

تهجير الفلاح الأردني، الذي وقع في أنياب المرابي الوحش خارج المفهوم السياسي الشائع للوطن، وذلك هو الإيقاع الأعلى في الرواية"[1].

وبما أن العدوان هو ابن الشهيد (مفلح العدوان) الجندي الأردني الذي قاد العملية الاستشهادية التي أسفرت عن استسلام مستعمرة (كفار عصيون) و (دير الشعار) والمستعمرات الثلاث المجاورة، ليلة الثاني عشر من أيار عام (1948م)." بلغت خسائر العدو في هذه المعركة مئتي قتيل، ومئتين وسبعة وثمانين أسيرا، أما النساء والشيوخ والأطفال فقد نقلوا إلى مواقع بعيدة بواسطة الصليب الأحمر... وتم نقل الأسرى إلى معسكر المفرق في الأردن.. سقط من الجيش أربعة عشر شهيداً"[2].

لقد استخدم العدوان مقاطع تاريخية من كتاب سليمان الموسى (أيام لا تنسى) [3]، عن معركة كفار عصيون فجاء موفقاً بواقعية الحدث وصدقه.

لقد كانت أحداث القضية الفلسطينية هي المحور الرئيسي في الرواية وبؤرة أساسية فيها، في تجميع الشخوص حول أحداثها، عندما التحق أحمد بالجيش، ومن ثم انتقال سرية أحمد إلى فلسطين للدفاع عنها، فما جرى على سهل البقعة مطابق تماماً لما جرى على أرض فلسطين.

" وفي النهائية خسر الجميع أرضه سواء احتلها العدو أو المرابي"[4].

أما في رواية (حائط الصفصاف) فيكشف العدوان عن التحولات التي واجهت الشعب الأردني في الخمسينيات " تواصل شخوصه كنماذج بشرية حياتها في صويلح، مرتبطة بخيط خفي من (الماضي)! ولكن بأسماء جديدة، وأدوات تخضع لطبيعة الحياة في البلدة صويلح وللظروف السياسية والوطنية العامة"[5].

---

(1) مصدر سابق: الأوزعي، سليمان، فلسطين في الرواية الأردنية، ص93.

(2) مصدر سابق: العدوان، طاهر، وجه الزمان، ص175.

(3) الموسى، سليمان،(1982م)، أيام لا تنسى،وزارة الثقافة، عمان.

(4) مصدر سابق: الأزرعي، سليمان، الرواية الجديدة في الأردن، ص214.

(5)المصدر نفسه: ص214.

لقد ظلت القضية الفلسطينية في (حائط الصفصاف) هي الهم الرئيسي والمشهد المأساوي الذي يتردد بين الحين والآخر، حيث إن الشخوص تكتمل في (حائط الصفصاف) بعد أن بدأت في (وجه الزمان) ولكن بأسماء جديدة، غير أن بعضهم احتفظ بالاسم نفسه مثل (أبو تيسير) المهجر الفلسطيني، وشخصية أبي عزمي.

وعندما ننظر إلى القضية الفلسطينية لا نجدها محصورة بالشعب الفلسطيني، وإنما هي قضية للأمة العربية كاملة، ابتدأت في تقاسم الهم عندما تهجروا إلى الأردن وبقية الدول العربية.

لقد أصبح الفلسطينيون بعد نكبة (1948م)، يعيشون على الأمل، بعد أن هزمت الجيوش العربية" إن سبب هزيمة العرب عام (1948م)، أنهم لم يكونوا بمجموعهم على استعداد مناسب لهذه الحرب، كما أنهم لم يكونوا قادرين أيضاً على احتمال عدم الحرب.. ومع أن الهزيمة كانت هزيمة تتوزع المسؤولية فيها على جميع الدول العربية التي خاضت الحرب، إلا أن الأردن وحده من بين هذه الدول هو الذي حمل العبء الأكبر من المسؤولية افتئاتاً وظلماً وبصورة غير عادلة"[(1)].

ولكننا نجد أن الأردن أقل الدول العربية مسؤولية عن نتيجة الحرب للأسباب التالية:

1. قلة عدد السكان.
2. عدد الجيش خمسة آلاف مقاتل.

الأردنيون قاتلوا في حرب (1948م) برجولة وشرف، جنوداً كانوا أم متطوعين، وما زالت قبورهم المجهولة الهوية تزين جميع أراضي فلسطين، وخير مثال على ذلك معركة القدس القديمة، ومعارك باب الواد التي كانت شاهدا على بسالة ورجولة وشجاعة الجندي الأردني.

لقد تهجر لفلسطينيون، وفقدوا ديارهم، وتشردوا، فكان الأردن هو الذي حضنهم في تلك الفترة[(2)].

---

(1) مصدر سابق: التل، سعيد، الأردن وفلسطين وجهة نظر عربية، ص35.

(2)المصدر نفسه: ص35-36.

وقد جاءت رواية العدوان (حائط الصفصاف) تتحدث عن الظروف التي مرت على المهجرين الفلسطينيين في الأردن.

وإذا ما ذهبنا إلى الشخوص الذين بقوا على تسميتهم في رواية العدوان (وجه الزمان) كشخصية أبي تيسير " المهجر الفلسطيني الذي لجأ إلى بيت فاطمة وابنها ضيف الله، نجده يحتفظ بالاسم نفسه، ويفتح مخبزاً قرب دكان جابر، ويسافر بين الحين والآخر إلى الضفة الغربية، يرقب قريته المحتلة من المرتفعات، لكن حائط الصفصاف يحجبها عنه، وأخيراً يتسلل عبر الحدود، ويعلن راديو العدو أن رجال حرس الحدود قتلوا متسللاً"[1].

حيث تروي زوجة (أبو تيسير) أنهم ذهبوا إلى (رام الله) في زيارة، ونزلوا ضيوفا على بيت قريب لهم، وفي اليوم التالي ذهبوا إلى أطرف المدينة وإلى الموقع المعتاد الذهاب إليه وهو حائط الصفصاف الذي لم يزل في مكانه، حين ظهرت على وجه تيسير اشراقة سعادة، ورجعنا إلى البيت وفي الصباح لم أجد أبا تيسير في فراشه.

ولكن " طريق واحد يذهب عليها أبو تيسير ولا يعود، ذهبنا جميعاً إلى المكان المطل على قريتنا المحتلة، كانت الأرض المحتلة، ما تزال تحتفظ بآثار أقدامه، التي غابت عبر الوادي.
استمعت بقية شلة المجتمعين أمام دكان جابر إلى إذاعة العدو تعلن:

قتل رجال حرس الحدود قبل يومين أحد المتسللين إلى إحدى المستوطنات على خلفية السرقة.

علّق جابر وهو يرنو بحزن إلى المذياع:

لهذا الصندوق العجيب، وظيفة أخرى، إنها التزوير.

قال الأستاذ بصوت هادىء.

---

(1) مصدر سابق: الأوزعي، سليمان، الرواية الجديدة في الأردن، ص215.

أمس يوسف إبراهيم.. واليوم أبو تيسير.. الآن تعانقت روحاهما مثل كوكبين دريين"[1].

وكذلك شخصية" (أبو عزمي) السمكري والد ليلى وعزمي الشاب الذي انتظم في حزب(فريد الناجي) الشيوعي المهجر الذي حمل السلاح، ودافع عن فلسطين، وتزوج القضية، وظلّ أعزب، ودخل السجن، وخرج منه يوم طرد الجنرال (كلوب) وتم تعريب الجيش الأردني"[2].

أكد فريد الناجي عندما خرج من السجن و استقل الباص عائداً إلى صويلح:" إنه لم يسجن بسبب سرقة أو فساد، وإنما من أجل الحرية، ومن أجل مصالح الشعب، وشرح الناجي بحماسه مغزى قرار طرد الجنرال وتعريب الجيش... إنها معركة أخرى منتصرة تخوضها الشعوب العربية ضد الاستعمار"[3].

وكذلك شخصية (يوسف إبراهيم) كان ضابطاً مطروداً من الجيش بسبب عدائه لقيادة الجيش لأنها أجنبية، وعندما طرد (كلوب) وتم تعريب الجيش، رجع إلى كتيبته واستشهد، وكان حديثه دائماً التخلص من الضباط الإنجليز، حيث إنهم كانوا السبب في طرده من الخدمة بدعوى الاهمال، ولكن السبب الحقيقي هو إنزعاجهم من كتيبة يوسف ودورها في حرب فلسطين، لقد كان ضابطاً في المدفعية، ينتقل بجنوده من معركة إلى أخرى، من(كفار عصيون) إلى (باب الواد)، وحول أسوار القدس فوجىء بعد التوقيع على الهدنة بقرار من الجنرال بطرده.

---

(1) مصدر سابق: العدوان، طاهر، حائط الصفصاف، ص236.

(2) مصدر سابق: الأزرعي، سليمان، الرواية الجديدة في الأردن، ص215.

(3) مصدر سابق: العدوان، ظاهر، حائط الصفصاف، ص101.

" حيث لم يكن الفلسطيني خصوصاً، والعربي عموماً في الرواية الأردنية، مشغولاً فقـط بما يجري في العالم العربي من أحداث، وإنما كان يراقب أيضاً ما يجري في مجتمع العدو من تحولات تؤثر على سير القضية"[1].

ونجد أن فريد الناجي الشيوعي المهجر يتوقع العدوان الثلاثي على مصر.

" إن مجيء بن غوريون إلى وزارة الحرب.. ينبىء عن شيء ما في الأفق.

تدخل الأستاذ:

اليهود قلقون متحفزون منذ عقد صفقة السلاح بين مصر وتشيكوسلوفاكيا.

وافقه الناجي مكملاً حديثه:

ويقال إن هناك صراعاً بين بن غوريون وشاريت وزير الخارجية.

نحن لهم بالمرصاد..أضاف جابر سير حلون عن فلسطين مثلمـا رحـل الإنجليـز مـن مصر"[2].

ونرى أن فريد الناجي يتابع كل ما يجري داخل أرض فلسطين وخارجها وأنه يؤكد على طرد اليهود من فلسطين مثلما طرد الإنجليز من مصر، فعنده أمل كبير في الشعب الفلـسطيني والأمة العربية.

يجسد العدوان الموقف المشرف تجاه القضية الفلسطينية من قبل الأردن وشعبها قبل النكبة وبعدها.

" لقد جاءت (حائط الصفصاف) لوحة حية نابضة لمجتمعنا الأردني القومي ترجمت توقه في الخلاص من القيادة الأجنبية لجيش بلاده خلال فترة الانتداب، وما عاناه الوطنيون الأحـرار

---

(1) مصدر سابق: الأزرعي، سليمان، فلسطين في الرواية الأردنية، ص96.

(2) مصدر سابق: العدوان، طاهر، حائط الصفصاف، ص80.

من أفراد جيشنا الوطني من سيطرة العنصر الأجنبي على قيادته، وما جرته عليه تلك القيادة من كوارث خلال حرب فلسطين رغم تضحياته وبطولاته واستبساله المشهود في الدفاع عن أرضه العربية"[(1)].

وفي رواية (أنوار) نجد أن أبطال العدوان في الرواية هم من بيئات مختلفة، يوحدهم هم مشترك ومشاكل عديدة، حيث نجد أن القضية الفلسطينية أثرت في شخصيات الرواية، وخير مثال على ذلك هي شخصية والدة (كريم السعد) حيث أفرغت ما فيها من أحزان. إذ كانت تتجنب إظهار الشعور بالاضطهاد، بالرغم من الواقع الذي تعيشه فهي لم تر أبناءها منذ سنوات طويلة، وقد كانت تكتفي برواية قصة هجرتها مع عائلتها قائلة لصديق ابنها (ماجد صفوان) " عندما احتل الإسرائيليون شفا عمرو، خرجت مع ثلاثة من الأولاد إلى سوريا، كان الفزع يسيطر علينا، هربنا بالليل، في الصباح لم أجد زوجي وابني الكبيرين في القافلة، بعد عام سمعنا عن وجوده في مدينة صور بلبنان"[(2)].

هذا دليل على وجود فلسطينيين مهجرين في جميع دول العرب، فنجد الخوف والفزع يتملكهم أينما ذهبوا، رغم أن المسافات تبعدهم، لكن قضيتهم تبقى حتى يطرد العدو الصهيوني الذي جردهم من أرضهم.

---

(1) مصدر سابق: الأزرعي، سليمان، الرواة الجديدة في الأردن، ص216.

(2) مصدر سابق: العدوان، طاهر، أنوار، ص120.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية لروايات العدوان

- المكان.
- الشخصيات
- الزمان.
- الحدث.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

المكان

يعد المكان من العناصر المهمة التي يركز عليها العمل الأدبي، وهو "أحد المكونات الحكائية التي تشكل بنية النص الروائي، لكونه يمثل العنصر الأساسي الذي يتطلبه الحدث الروائي، والشخصية الروائية في الوقت نفسه، ولهذا يلعب دوراً مركزياً داخل منظومة الحكي، لان الحدث الروائي لا يمكن أن يتم في الفراغ، بل لا بد من مكان يقع فيه، كي يأخذ مصداقيته، ويتم تبليغه بنوع من المصداقية إلى المتلقي"[1].

و" هو أحد الركائز الأساسية التي يركز عليها العمل الأدبي، ولاسيما الرواية. فهي تحتاج إلى مكان تدور فيه الأحداث، وتتحرك خلاله الشخصيات، ولا يهم إن كان المكان حقيقياً، أو خيالياً من نسج خيال الكاتب"[2].

ولا يمكن للمكان أن يكون زخرفة بل يدخل في علاقة جدلية مع عناصر العمل الروائي الأخرى، فهو "العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص الروائي بعضها ببعضها الاخر، وهو الذي يسم الأشخاص والأحداث الروائية في العمق"[3].

---

(1) أحمد، مرشد. (2005)، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ط1، ص 127،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

(2) شاهين، أسماء، (2001)، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، ط1، ص15، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(3) شبيل، عبد العزيز. (1987)، الفن الروائي عند غادة السمان، ط1، ص 47 دار المعارف، تونس.

فالمكان الروائي هو مكان متخيل "لان النص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكاناً خيالياً، له مقوماته الخاصة، وأبعاده المميزة"[1].

"وفي الغالب يكون وصف المكان مهيمناً في الاتجاه الواقعي، ليكشف لنا العلاقة الجوهرية، القائمة في صلب المبنى الحكائي بين الإنسان والبيئة المحيطة"[2].

ولا بد لأي عمل روائي أن يكون له حيز، أو مكان تدور فيه الأحداث، وتتحرك فيه الشخصيات، فهو يتشكل من عملية يقوم فيها المؤلف بان يخرج المكان من مكان حقيقي إلى مكان خيالي.

فالمكان الروائي يتميز بأنه "ليس فقط هو المكان الذي تجري فيه المغامرة المحكية، ولكن أحد العناصر الفاعلة في تلك المغامرة نفسها"[3].

ولعل الروائي طاهر العدوان أحد هؤلاء الذين اهتموا بالمكان ووظفوه، لتقديم رؤى مختلفة، اجتماعية وواقعية وحضارية، فالمكان احتل مساحة ليست بقليلة في أعماله الروائية[4].

والمكان عند طاهر العدوان يتشكل من نوعين:

1- الأماكن المفتوحة.

2- الأماكن المغلقة.

---

(1) سيزا، قاسم. (1984)، بناء الرواية، ص 74،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

(2) مصدر سابق: الطراونه، إبهارة،هزاع البراري روائيا، ص 148.

(3) بحراوي، حسن. (1990)، بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمان – الشخصيات)، ط1، ص 29، المركز الثقافي العربية، بيروت، الدار البيضاء.

(4) مصدر سابق: ينظر، الطروانة، بهارة، هزاع البراري، روائياً، ص 148.

1. المكان في رواية وجه الزمان

أ. الأماكن المفتوحة

حيث نجد الأماكن المفتوحة في رواية (وجه الزمان) عند طاهر العدوان تتشكل بالقرية والمدينة والبيدر، فالأماكن المفتوحة (عادة تحاول البحث في التحولات الحاصلة في المجتمع، وفي العلاقة الإنسانية الاجتماعية ومدى تفاعلها مع المكان. إن الحديث عن الأمكنة المفتوحة، هو حديث عن أماكن ذات مساحات هائلة توحي بالمجهول، كالبحر، والنهر أو توحي بالسلبية كالمدينة، أو هو حديث عن أماكن ذات مساحات متوسطة كالحي، حيث توحي بالألفة والمحبة، أو هو حديث عن أماكن ذات مساحات صغيرة كالسفينة والباخرة كمكان صغير، يتموج فوق أمواج البحر"[1].

- **القرية (سهل البقعة)**

يعد (سهل البقعة) المسرح الكبير لأحداث الرواية، لأن كثيراً من الأدباء والكتاب ينحدرون من أصول ريفية وقروية، "فكانوا أوفياء لمراتع نشأتهم، فدونوا تاريخ مجتمعاتهم القروية بكل تفاصيلها، ودقائقها، وما فيها من عادات وتقاليد، وأعراف لا توجد في المدينة[2].

وبما أن طاهر العدوان أحد الكتاب الذين انحدروا من أصول ريفية، فقد اتخذ من السهل مكاناً واقعياً وتاريخياً لأحداث روايته (وجه الزمان)، فهو مكان يعيش فيه أفراد القبيلة، وهو يحتوي على بيوت الشعر التي يعيشون فيها، وينابيع الماء التي يشربون منها، وعلى البيادر التي يجمعون عليها محصولهم.

---

(1) عبيدي، مهدي. (2011)، جماليات المكان في ثلاثية حنامينا، (حكاية بحار – الدقل – المرفأ البعيد)، ط10، ص 95،منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق.

(2) الجبوري، عبد الرحمن. (2012)، بناء الرواية عند حسن مطلك– دراسة مقارنة– المكتب الجامعي الحديث، ط1، ص 65، دار الكتب والوثائق القومية.

لذلك نجد أن العدوان أعطى ميزة الشجاعة لهذا المكان، في المحافظة على أرض السهل التي تعود على ساكنيه بالخير، حيث كان هذا المكان (سهل البقعة) ممثلاً ببيوت الشعر التي يصفها الكاتب "أما بيوت الشعر المتناثرة في السهل فقد بدت كبقع سوداء، اقرب ما تكون إلى قطيع من الأغنام السوداء المتناثرة منها إلى البيوت[1]، ولكن هذا المكان مطمع للتجار المرابيين الذين يأتون كل عام في موسم الحصاد ليأخذوا أتعاب الفلاحين والمزارعين فقد كان التجار ينصبون خيامهم بجانب (البيدر)وهو المكان الذي يجمع عليه الفلاحون محصولهم، وفي هذه الرواية نجد شخصية (عليان) المرابي الذي ينصب خيمته بجانب صديقه سعود "يأتي المرابي خلال مواسم الحصاد كل عام.. ويقيم خيمته بالقرب من بيت سعود... وسعود هو أحد أبناء العشيرة من أصحاب السطوة والنفوذ"[2].

هذا ما كان يحصل على أرض (سهل البقعة)، فقد جاء هذا المكان دالاً على الحالة المعيشية، وعلى طبيعة الحياة القروية، فقد يضطر بعض أفراد القبيلة إلى السفر إلى دولة مجاورة للعمل، وآخرون يلتحقون بالجيش لسداد ما عليهم من ديون ليحصنوا أرضهم من الاستيلاء عليها من المرابين، حيث تجسد هذا المشهد بشخصية أحمد العلي "أظهر أحمد رغبته بالالتحاق بالجيش فقد يساعده راتبه على تغطية مصاريفهم وسداد الدين"[3].

لكن نجد أن طاهر العدوان يصف أحياناً الأماكن وصفاً صريحاً، حيث شاهدنا هذا الوصف في رواية (وجه الزمان)، "داعب وجه نسيم الفجر المتسلل عبر رواق "بيت الشعر" رفع الرواق بيديه... فأطلق على جبال البلقاء وقد انعكس الشفق على رؤوسها ليلفها بغطاء وردي ساحر"[4].

---

(1) مصدر سابق، العدوان، طاهر، وجه الزمان،،ص 16.
(2) المصدر نفسه: ص 13.
(3) المصدر نفسه: ص 14.
(4) المصدر نفسه: ص 5.

ومن هذا المشهد الذي يبعث الحياة في السهل، ينتقل العدوان إلى وصف ليل السهل، فالليل في السهل يمثل تناقل الأخبار، وتبادل الزيارات والتعاليل والسهر بين أفراد القبيلة، حيث نجد أن أخبار القرية تتداول عندما تذهب الفتيات إلى ينابيع الماء، لجلب الماء للبيت، حيث يتجمعن عند أسفل المنحدر ليتبادلن "الأخبار والحكايات عن جميع البيوت والدور الموجودة في السهل، حيث يجري تعميمها أولاً بأول، ويبدو أن الأمهات ينتظرن بدورهن عودة بناتهن في المساء لتلقي النشرة اليومية عن آخر حكايات الديرة"[(1)].

ومن وصف الليل إلى وصف النهار في السهل فقد كان العدوان بارعاً في وصف نهار السهل، حيث كان السهل يضج بالحركة، (حركة الفلاحين والمزارعين الذين يذهبون إلى حقولهم وحركة رجوعهم من الحقول إلى البيوت، وحركة الفتيات الذاهبات إلى ينابيع الماء لإحضار الماء إلى البيوت).

لقد قدم لنا طاهر العدوان لوحة فنية واضحة عن صورة الحياة في سهل البقعة، التي تتضمن مستوى معيشة أفراد القبيلة، وعن ثقافتهم الدينية، والانتماء للأرض.

- المدينة

تشكل المدينة المساحة الواسعة لأحداث رواية (وجه الزمان)، وهي المسكن الطبيعي للإنسان (أوجدها الناس لتكون في خدمتهم وعلى مستواهم، أوجدوها لتساعدهم في العيش وتطمئنهم وتحميهم من العالم المناوئ ومن أنفسهم.

وتختلف المدن بعضها عن بعضها الاخر، فلكل مدينة موقعها الجغرافي وتتميز كل مدينة بعاداتها وتقاليدها، والمدينة قد تكون مكاناً مفتوحاً، أو مغلقاً"[(2)].

---

(1) مصدر سابق:العدوان، طاهر،وجه الزمان، ص 21.

(2) مصدر سابق، عبيدي، مهدي، جماليات المكان في ثلاثية حنامينا، ص 96.

وتشكل المدينة عند طاهر العدوان في رواية (وجه الزمان)، مكان اللجوء والاستقرار، والابتعاد عن المشاكل، فكانت مدينة (صويلح) ملجأ لضيف الله وعائلته الذين تهجروا من قريتهم، مبتعدين عن الوقوع في المشاكل، وحقناً للدم بينهم وبين المرابي عليان الذي استولى على أرضهم بالمال الربوي.

وقد كانت هذه المدينة التي تقع بالقرب من (سهل البقعة)، وهي قرية ضيف الله حيث "تقع بلدة صويلح على مفترق طرق، امتدت حاراتها الثلاث على سفح قمة جبلية عالية، تشرف على سهل البقعة، وفي الليل تظهر مصابيحها من السهل، وكأنها نجوم باهتة تقع في قلب مجرة سماوية... في الوسط تقع حارة العرب، وعن اليمين حارة الشيشان، وعن اليسار حارة الجراكسة، ومن الشرق إلى الغرب يقطع البلدة بحاراتها الثلاث طريق اسفلتي يربط عمان بالسلط وفلسطين"[1].

ولكن ما يربط مدينة صويلح بضيف الله وعائلته هو مشهد التهجير، الذي يجعل من ضيف الله رجلاً حزيناً على أرضه التي سلبت منه بالخداع، فهو يحمل في نفسه كثيراً من الألام والحسرة وهذا ما شهدناه في حديثه مع والدته "وأن عيني لا تعرف النوم... قصي علي يا والدتي، من قصصك، وان استطعت فحدثيني عن مشاعر الرجال، عندما يرحلون، مكرهين عن ديرتهم، ويتخلون عن أرضهم مجبرين، هل يبكون يا أمي؟ لا بد أنهم يفعلون أو يقولون شيئاً"[2].

ولكن والدة ضيف الله تخفف عن ابنها بالرغم من أنها تعلم بأنه يحمل عذاباً داخله "لو تحول إلى ينبوع ماء، لأغرق السهل"[3].

---

(1) مصدر سابق، العدوان، طاهر، وجه الزمان، ص 152.

(2) المصدر نفسه: ص 145.

(3) المصدر نفسه: ص 146.

فتقول له: "قد يكون السهل غير مناسب لذريتك، وهناك في صويلح قد يعوضك الله عما فقدته وأكثر"[1].

انتقل ضيف الله وعائلته إلى بلدة صويلح حيث "انشغل بتجهيز دكانه، أما احمد فقد أصبحت إجازته نادرة، بعد أن خضعت كتيبته لتدريبات قاسية على أسلحة جديدة استعداداً للحرب"[2].

وتتوالى الأحداث في هذه المدينة حتى حلول شهر نيسان حيث تزايدت اعداد السيارات القادمة من فلسطين، تحمل المهجرين الفلسطينيين إلى عمان، فقد كانت فاطمة تلوح لهم وتمنحهم الأمل في الرجوع إلى أرضهم فتقول: "ستعودون إلى أرضكم.. مثلما أنا عائد إلى السهل.

ثم تقول لشيره:

هل رأيت لسنا وحدنا من طرد من أرضه... الموسم عندهم أيضا جاف، وقد بلاهم الله باليهود مثل ما بلانا بعليان وسعود.. لكن ربك يمهل ولا يهمل"[3].

ولكثرة الأحداث الرئيسة في هذا المكان فقد احتلت هذه المدينة (صويلح)، مكاناً بارزاً عند العدوان، فقد أظهرها كالأم التي تحتضن أولادها من المهجرين من بلادهم سياسياً، ومن المهجرين من أرضهم نتيجة المال الربوي.

ومن الأماكن المفتوحة التي كان لها دور بارز في الرواية مدينة (السلط)، فقد جعل الكاتب من مدينة السلط مكاناً رئيساً في ذهاب الناس إليها، لشراء حاجاتهم، فهم يستمدون قوتهم من دكاكينها. فقد كان الشيخ عودة ذاهباً إلى السلط ليحضر مؤونة الشتاء، عندما سأله جاره عبد القادر.

---

(1)مصدر سابق: العدوان، طاهر، وجه الزمان، ص 146.

(2) المصدر نفسه: ص 152.

(3)المصدر نفسه: ص 153.

- " إلى أين يا وجه الخير...
- إلى السلط إن أراد الله.
- خير...
- سأصل دكان عليان لأحضر من عنده بعض مؤونة الشتاء"[1].

فقد كانت هذه المدينة (السلط) مكاناً استراتيجياً، حيث تربط فلسطين بالأردن، وتربط المدن والقرى بعضها ببعضها الاخر، وبالرغم من أن مدينة (السلط) ملجأ للفلاحين والمزارعين في تأمين قوتهم ومؤونة شتائهم، إلا أن البعض من تجار هذه المدينة يستخدمون تجارتهم طعماً بالفلاحين والمزارعين في الاستيلاء على أرضهم، بموجب صكوك يكتبونها على الفلاحين حفاظاً لحقوقهم، وهذا ما حصل مع الشيخ عودة عندما ذهب ليحضر مؤونة الشتاء، فقد كان مقابل الحصول على بعض الأغراض رهن قطعة ارض بموجب صك حتى يعيد إليه حقوقه.

"أعد التاجر علينا، صكاً بموجبه، يأخذ عودة قطعتي قماش لزوجته ووالدته وغطاء للرأس، ولباساً له وغطاء لرأسه وبضع كيلوات من القهوة وقليلاً من حب الهال، مقابل مجيدي من الذهب أو ما يساوي من الأرض في حالة تأخر عودة عن الدفع في موسم الحصاد"[2].

وتتجلى في هذا المكان مشاعر الفرح والخوف معاً وذلك عندما يذهب الفلاحون لشراء اغراضهم من غير أن يدفعوا نقوداً فرحين ومتفائلين بالموسم، ولكن قد يأتي الموسم على غير ما يتوقعون، حيث يخافون على أرضهم التي سيستولي عليها التجار الذين وقعوهم على رهنها مقابل دفع ما عليهم من ديون.

---

(1)مصدر سابق: العدوان، طاهر، وجه الزمان، ص 6.

(2) المصدر نفسه: ص 9.

-البيدر

جعل العدوان من هذا المكان رمزاً، للخير أو الشر، وذلك عندما يعود الموسم، بالخير على الفلاحين اذا كان الموسم ماطراً، ونبات الزرع الذي يجعل من المحاصيل الشيء الكثير الذي يرد على الفلاحين التعب والمشقة والجوع و يساعدهم في سداد ديونهم للتجار.

وقد يكون رمزاً للشر عندما يأتي الموسم جفافاً، فلا يحل بهم الا القحط والمحل، فيكون شراً وقهراً على الفلاحين وعائلاتهم، لذلك نجد أن الفلاحين يقترضون الأموال ويشترون أغراضهم من التجار، ويعيشون في فقر وجوع، وتتزايد الديون حتى يأتي الموسم القادم، لذلك نجد أن التجار المرابين يستغلون هذا الموقف ليكتبوا على الفلاحين صكوكاً جديدة يرهنون بها أرضهم حتى يسددوا ما عليهم من ديون، وفي حال لم يسددوا ما عليهم، يقوم التجار بالاستيلاء على أراضيهم.

وهذا الشيخ عودة الذي ذهب إلى السلط ليشتري بعض الأغراض من التاجر عليان يقول له: "تريد شراء بعض الأغراض، والحساب على البيدر... الله يفرجها علينا وعليك"[1].

حيث يقوم التاجر عليان بكتابة صك على الشيخ عودة، في حال ان الشيخ عودة لم يدفع ما عليه من ديون، فانه يقوم برهن الأرض، والاستيلاء عليها، ولكنه يطمئن الشيخ عودة ويقول له: "ان شاء الله الموسم هذه السنة، والبيدر سداد لا تخاف"[2].

من خلال هذا المشهد نجد أن التاجر عليان يرمي شباكه للمزارعين بإعطائهم البضاعة، وما يريدون من أغراض حتى يأتي موسم السداد، وفي حال أنهم لم يستطيعوا سداد ما عليهم يأخذ أرضهم بالصكوك التي كتبها عليهم.

---

(1) مصدر سابق، العدوان، طاهر، وجه الزمان، ص 9.

(2) المصدر نفسه: ص 9.

كان (البيدر) مكاناً يفرح بعض الفلاحين إذا كان الموسم خيراً، ويحزن أغلبهم إذا كان الموسم جافاً، فالمستفيد الأول هو التاجر المرابي.

ب. الأماكن المغلقة

-البيت

يعد البيت هو مكان الألفة والمحبة، والبيئة الأولى للإنسان، فالبيت ليس جدراناً وشبابيك وأبواباً، وإنما يتجلى بما فيه من معانٍ وقيم وذكريات، وهو "المكان الذي يعيش فيه الإنسان ويقضي معظم وقته، إذا ما استثنينا ساعات العمل والسفر، وغيرها من الواجبات التي يقضيها خارجه، وهو مكان الراحة والأكل والنوم وممارسة النشاطات الاجتماعية والعائلية المختلفة"[(1)].حيث تختلف البيوت في مسمياتها كالدار، وبيت الشعر، والمغارة، فكل مسمى يدل على البيئة التي يعيش فيها الإنسان على المستوى المعيشي والأوضاع الاقتصادية، فعلى سبيل المثال بيت الشعر يدل على الحياة البدوية والقروية،حيث إن الكاتب بين لنا أن أهل (سهل البقعة) كانوا يسكنون بيوت الشعر صيفاً ويلجؤون إلى بيوت الحجر والطين في فصل الشتاء، فبيوت الشعر ترمز إلى الأصالة وطيب العادات والتقاليد، إضافة لكونها مأوى لهم، حيث شبه الكاتب في رواية (وجه الزمان) بيوت الشعر المتناثرة في سهل البقعة كقطيع من الأغنام السوداء، وأراد بذلك لفت انتباهنا إلى أن ساكنيها هم عائلة واحدة بالتفاف بعضهم حول بعضهم الآخر، حيث يقول: "أما بيوت الشعر المتناثرة في السهل فقد بدت كبقع سوداء، اقرب ما تكون إلى قطيع من الأغنام السوداء المتناثرة منها إلى البيوت"[(2)].

---

(1) مصدر سابق، الجبوري، عبد الرحمن، بناء الرواية عند حسن مطلك، ص 76..

(2) مصدر سابق، العدوان، طاهر، وجه الزمان، ص 16.

- السجن

الحديث عن السجن يشعر الإنسان بالخوف والكآبة، وهو "مكـــان جبـــري معـــد لإقامـــة الشخصيات ذات السوابق السياسية والإجرامية، أو غيرها، خلال فترة محدودة، وبهذا المعنـــى يشكل السجن الانتقال من العالم الخارجي (عالم الحرية) إلى الداخل بما يتضمنه هذا الداخل من إجراءات إذلالية وتعذيب وفقدان للحرية"[1].

فقد ورد هذا المكان في رواية (وجه الزمان) عندما قام ضيف الله بإشعال النار في هشيم السنابل الجافة على البيدر، رداً على ما قام به عليان المرابي في الاستيلاء على أرضه "وفي السلط صدر الحكم على ضيف الله وفهد بالسجن لمدة ثلاثة أشهر"[2].

ولكن والدة ضيف الله قامت بتهدئة ابنها عندما ذهبت لزيارته مع الشيخ عودة في السجن، "لقد غسلت قلبك مع إنني حزينة لوجودك هنا، إلا إنني أرى أن نفسك قد برئت، وصحتك أخذت تعود إليك"[3].

حيث يعد السجن مكاناً للحزن، والإذلال، لكن ضيف الله بطل رواية (وجه الزمان) لم يكن من المجرمين والسارقين بل كان إنساناً شريفاً يدافع عن أرضه ويحافظ عليها، ولا يحتمل في يوم من الأيام أن تكون لغيره.

والسجن هو مكان في بعض الأوقات، للأبطال والغيورين على أرضهم وشرفهم، حيث يجمع هذا المكان نوعين من الناس:

الأول: للأبطال والغيورين على أرضهم وشرفهم.

الثاني: للمجرمين السارقين الذين يردعهم السجن عن مثل هذه الأعمال.

---

(1) مصدر سابق، الطراونة، بهارة، هزاع البراري روائياً، ص 148

(2) مصدر سابق، العدوان، طاهر، وجه الزمان، ص 191.

(3) المصدر نفسه، ص 193

- المستشفى

يعد هذا المكان الذي نجده في المدن بعيداً عن القرى، رمزاً للشفاء والعلاج، فنجد في تلك الفترة الزمنية التي وصفها العدوان في رواية (وجه الزمان)، أن الناس لا يذهبون إلى المستشفى إلا في الحالات الخطيرة التي يعجز (الحكيم) الذي يعالج بالأعشاب عن علاجها.

ومن أبرز المشاهد في رواية (وجه الزمان) عندما سقط المحراث على رجل محمد أخي ضيف الله، فتورمت رجله وازدادت عليه الحمى، وعجزت بعض الوصفات الطبية التي أوصى بها زواره من الرجال والنساء، حيث يقول الكاتب: " كانت فاطمة قد سمعت عن المستشفى في عمان "بيت يأوي إليه المرضى يدخلون إليه متألمين موجوعين ويخرجون منه مشافين معافين مثل ما ربهم خلقهم"[(1)].

فقد كان الملجأ الوحيد و الأخير لعلاج محمد حيث يقول ضيف الله "أخي بحاجة إلى طبيب يشفيه، ويخلصه من وصفات العرب"[(2)].لقد كانوا مؤمنين بأن الشفاء من الله وليس من المستشفى ولكنه من باب الأخذ بالأسباب فتقول والدته: "الشافي هو الله... عسى الشفاء يكون على يديك يا دكتور"[(3)].

حيث يكون هذا المكان ملجأ للمرضى الذين يعانون من مرضهم في أصعب حالاتهم، ومن جهة أخرى يحتاج إلى الكثير من المال لعلاج الحالات المتأزمة للمرضى، وكان له دور كبير في علاج أصعب الحالات.

---

(1) مصدر سابق: العدوان، طاهر، وجه الزمان، ص 49.

(2) المصدر نفسه: ص 50.

(3) المصدر نفسه: ص 51.

-**المغارة**

يعد هذا المكان ملجأ الفلاحين في فصل الشتاء، فقد كان مكاناً للسكن، أو لوضع محصولهم خوفاً عليه من السيول، إذ كان هذا المكان يستخدم لعدة أشياء منها السكن، أو خزن أكياس التبن والشعير والقمح فيها، ويستخدم أيضاً كمكان لبيع البضاعة، وتستخدم لوضع (الــدواب) خوفــاً عليها من الامطار.

حيث وصف لنا الكاتب في رواية (وجه الزمان) دور المغارة وأهميتها،عندما سأل الشيخ عودة محمد عن رجال القبيلة حيث يقول:" أنهم هناك.. الجميع هناك.. يحملون أكياس التبن خشية أن تجرفها السيول"[1]. فقد كان هذا المكان مليئاً بالاستخدامات البشرية، ويعد مكاناً مهماً للمزارعين، فهو يقيهم برد الشتاء وصرير الرياح، وهطول الأمطار.

2. المكان في رواية حائط الصفصاف

أ.الأماكن المفتوحة

تتمثل الأماكن المفتوحة في رواية (حائط الصفصاف):

- شجر الصفصاف.
- الشارع.
- موقف الحافلات.

- **شجر الصفصاف**

يعد هذا المكان رئيسياً في الرواية لما يحمل من معان وأمل وذكريات للشعب الفلسطيني المهجر من أرضه، حيث نجد هذا المكان الموجود "على تلة شرقي القرية، يقع حائط من شجر

(1)مصدر سابق:العدوان،طاهر، وجه الزمان، ص42.

الصفصاف، تنسدل أغصانه المجدولة كشعر الحسناء على ظهرها، ومن تموجات أوراقه رصد المزارعون اتجاه الرياح [1].

يعد هذا المكان المكوّن من شجر الصفصاف، والذي يمنع المهجر الفلسطيني (الخباز) أبا تيسير من مشاهدة قريته التي تقع خلف هذا الحائط فيقول: "هناك خلف شجرة الصفصاف تقع قريتنا خلف الصفصاف مباشرة تقع دارنا.. لو أن الشجر غير موجود؛ كنا شاهدنا الدار من هذا المكان"[2].

فنجد أن أبا تيسير المهاجر الفلسطيني الذي خرج من أرضه يلعن هذا الحائط الذي حال بينه وبين قريته فيقول: "لولا حائط الصفصاف اللعين لعرفت... لولا الحائط لرأينا التينة.. غداً سنرى.. قد يكونون أزالوا أشجار الصفصاف.. أو ربما اقتلعت العاصفة الأخيرة إحداها... واحدة تكفي.. مما يسمح لنا بمشاهدة الدار"[3].

حيث يرى صاحب الدراسة أن الكاتب جعل من حائط أشجار الصفصاف رمزاً للعدو الصهيوني الذي حال بين أبي تيسير وغيره من سكان القرية ومشاهدة قريتهم، حيث وصف هذا الحائط بالعدو الصهيوني الذي وقف حاجزاً بين الفلسطينيين وأرضهم.

- **موقف الحافلات**

يعد هذا المكان للتجمع والانطلاق إلى العمل، حيث يستقبل كل شخص حافلته منطلقاً إلى عمله، وهو أيضاً مكان تناقل الأخبار، والتعارف حيث نجد أن الناس تنطلق بهذه الحافلات متجهة إلى الأعمال، أو لشراء الأغراض لبيوتهم، أو لمراجعة إحدى الدوائر الرسمية، أو لأغراض شخصية، فنجد هذا المكان مملوءاً بالحركة والنشاط.

---

(1)العدوان،طاهر.(1990)،حائط الصفصاف،دار الكرمل،ط1،ص55.

(2) مصدر سابق: العدوان، طاهر، حائط الصفصاف، ص 5 6.

(3) المصدر نفسه: ص 54.

ونرى أيضاً أن هذا المكان ليس للأعمال، وغيرها، وإنما نجد فيه قصص الحب والغرام ففي رواية (حائط الصفصاف) أظهر لنا الكاتب أن هذا المكان جمع بين العاشقين (جميل السالم وسميرة)، فكان أول لقاء لهما في موقف الحافلات، لذلك كان له وقع في قلبيهما، حيث وصف الكاتب هذا المشهد الجميل في قوله:"عند موقف الحافلات نظرت إليه سميرة من خلف رموشها الطويلة، احمرت وجنتاه عندما لاحظ أنها تداري ابتسامة خبيثة، وضع يده على شعره المزيت اللامع"[1].

- **الشارع**

يعد هذا المكان من الأماكن المهمة في رواية (حائط الصفصاف)، "ومن المعروف أنه مكان مفتوح وعام، وحيز لأحداث كثيرة، مثل التسكع واللقاءات والمظاهرات، ويتيح للشخصية أن تتصل بالعالم قبل أن تلج مكانها المغلق (البيت)" [2].حيث احتل الشارع مكانة واسعة في رواية (حائط الصفصاف)، ومن تلك المشاهد التي وصفها لنا الكاتب ملاحقة جميل السالم لحبيبتهُ سميرة في أحد شوارع عمان، وما يسمى (بشارع السلط)، "شاهدته يسير خلفها وهي تستعد لعبور الشارع، أبطأت في السير حتى وقفت على حافة الرصيف، نظرت إليه باسمة مشجعة"[3].

فكان هذا المكان للقاء الأحبة، فنرى جمال هذا المكان بالخلوة مبتعدين عن أنظار أهل القرية، فالشارع له مهام كثيرة مثل التنقل بين البيوت و القرى، وبين القرى والمدن، ولكننا نظرنا إليه من ناحية الألفة التي أعطاها لهذين الحبيبين.

---

(1) مصدر سابق: العدوان، طاهر، حائط الصفصاف، ص 17.

(2) مصدر سابق: الطراونة، بهارة، هزاع البراري روائياً، ص 60.

(3) مصدر سابق: العدوان، طاهر، حائط الصفصاف، ص 19.

ب. الأماكن المغلقة في رواية (حائط الصفصاف)

1. الخمارة.

2. البيت.

1. الخمارة

وهذا المكان للهروب من الواقع حيث" يعد البار مكان انتقال شخصيات قد تكون عاطلة عن العمل، أو مشبوهة، فهناك سبب ظاهر أو خفي يقضي بوجود مثل هذه الشخصيات به، ولا يدعو الأمر هنا الالتزام، أو الإجبار للدخول فيه، بل يأتي الشخص بمحض إرادته في رغبه ذاتية ملحة"[1].

ففي رواية (حائط الصفصاف)، نجد هذا المكان لارتياد (سيد المصري)، وهو رجل طويل القامة، يبدو أكبر من عمره الأربعيني" تراه في طرقات البلدة مثل نسائم الجنوب، مفعماً بالحيوية رغم رقته وضعف بنيانه"[2].

ففي وقت الليل يختلف سيد المصري اختلافاً كلياً، حيث يذهب مغادراً البلدة إلى خمـــارة "يغادر البلدة هابطاً نحو خمارة قريبة يعاقر الخمرة، ويذوب فيها حتى يتحول إلى خرقة بالية"[3].

نجد أن الخمارة هي الملجأ الوحيد (لسيد المصري)، الذي يهرب من واقعه بالذهاب إلـــى الخمارة، حتى ينسى ما فعله في ماضيه، حيث يروي قصته ويقول: إنه في يوم من الأيام كـــان في مصر ما يسمى بعهد الباشاوات والأفندية، حيث يأتون إلى القرية حتى ينتخـــبهم الفلاحـــون والمزارعون، وكنت أكره الباشاوات لأنهم كالذئاب يأكلون لحوم البشر، حيث كنت أسكن القرية وفيها قصر كبير للباشا، وكان له ابن مدلل، ناعم، متعجرف، استكثر عليّ سعادتي مع زوجتي،

---

(1) مصدر سابق: الطراونة، بهارة، هزاع البراري روائياً، ص162.

(2) مصدر سابق، العدوان، طاهر، حائط الصفصاف، ص23.

(3) المصدر نفسه: ص23.

التي تزوجتها قبل شهرين من وقوع الحادثة، وكنت أحب زوجتي كثيراً، وفي يوم من الأيام كنت جالساً أمام المقهى، وفجأة ظهرت لي عربة ابن الباشا تسلك الطريق المؤدية إلى بيتي، فغـص قلبي في تلك اللحظة، وقررت أن ألحق به وإذ بالعربة أمام بيتي، فذهبت ووقفت عنـد البـاب للتأكد من إخلاص زوجتي وأنها لا تخونني، فسمعت صراخاً فدخلت البيت، وإذ بـابن بالباشـا يريد اغتصاب زوجتي، فأمسكت بفأس وغرستها في ظهره وهربت من البيت إلى القاهرة، حيث سمعت أنهم يتعقبونني، فهربت إلى تل أبيب وعملت بها في إحدى بيارات الخواجا، حيث أدمنت على الشرب، وعندما حدثت الاضطرابات في فلسطين هربت إلى الأردن.

فقد كانت هذه قصة سيد المصري الذي مضى على أحداثها عشرون عاماً، حيث وجد في الخمارة الأمن ونسيان الذكريات الأليمة، فليس كل من يدخل الخمارة يجلس حتى يلهو، وإنما يدخلها البعض ليهرب من واقعه، وما يلاحقه من شبح الماضي.

2. البيت

يعد هذا المكان للألفة والمحبة و الاستقرار و الأمان، ولكن في بعض الأوقات يكون مكاناً للأحداث المأساوية، ففي رواية (حائط الصفصاف) نجد أن البيت أصبح مسرحاً للقتل وإراقة الدم، حيث أظهر لنا الكاتب مشهداً من الرواية يحزن القارىء وهو قتل (جميل السالم) (ليلى بنت أبي عزمي) التي أطلت بفستانها الأبيض الطويل، لتزف إلى خطيبها (محمود يوسف) الذي كان واقفاً أمام منزلها، فقد كانت العادات ولا تزال في قرانا ومدننا أن يزف العريس إلى العروس، حيث وقف محمود ينتظر خطيبته أمام منزلها لكي تزف إليه" وعندما أطلقت النساء الزعاريد اختلست ليلى نظرة طويلة نحو البوابة الخارجية، حيث يقف عريسها محمود يوسف"[1].

(1) مصدر سابق: العدوان، طاهر، حائط الصفصاف، ص233.

ويضيف لنا الكاتب كيف باغت جميل السالم الجميع و سدد بندقيته إلى صدر العروس، التي هوت مقتولة تبحث بعينيها في لحظاتها الأخيرة عن عريسها.

لقد كان هذا المشهد المحزن الذي دارت أحداثه في بيت، وبدل أن يكون للفرح والسرور، أصبح للحزن والمأساة، فقد انقلب هذا البيت من الفرح بزفاف ليلى، إلى بيت حزين بمقتلها.

3. المكان في رواية (أنوار)

أ. الأماكن المفتوحة في الرواية

1. قرية المرجان.
2. البركة.
3. المركب.

1. قرية المرجان

يعد هذا المكان مسرحاً لأغلب الأحداث الرئيسية والثانوية في رواية (أنوار)، حيث جعل الكاتب من هذا المكان حدثاً رئيسياً في الرواية، فهو مصدر الرزق في دول الخليج، وهو مكان للباحثين عن عمل ليزدادوا ثروة وغنى، وهو مصدر سعادة لمن تتزوج برجل في هذا المكان، حيث نجد أن هذا المكان يحتل دور البطل الرئيسي في الرواية، حيث تؤثر الأحداث على الشخصيات نتيجة التميز الذي حظي به هذا المكان.

فنجد أن قرية المرجان هي مطمع لكل من يبحث عن الثراء والغنى، فهذه والدة ياسمين التي زوجت ابنتها من رجل يكبرها بستة وثلاثين عاما طمعاً بالمال والثراء.

ولكي تقنع ابنتها بهذا الزوج قامت بإغرائها فتقول:" هل سمعت يا أنوار عن فساتين الحرير الناعمة مثل خد طفل رضيع؟

- هل سمعت يا أنوار بأساور الذهب و عقود اللؤلؤ و أقراط البلاتين؟

هناك في بلدة المرجان سيكون لك سيارة وربما قصر مليء بالخدم والحشم"[1].

لقد جعلت والدة أنوار من قرية المرجان، الكنز الذي يجب الاستيلاء عليه،ولكن فيما بعد اكتشفت انوار أن بلدة المرجان هي أيضاً مكان للتسلط الذكوري على المرأة، والفساد الديني لبعض ساكنيه، فالواقع شيء والخيال شيء آخر.

ما تخيلته أنوار من ثراء وغنى في هذا المكان، وجدته مغايراً للواقع في ظلمهِ وقهره وفساده.

2. البركة

يعد هذا المكان للصيد والسباحة والترويح عن النفس، فقد كانت البركة (التنور) في قرية المرجان، باباً جديداً للحياة، فهي تخصص للرجال في أيام الأسبوع كاملة عدا يوم الاثنين فإنها مخصصة للنساء.

لقد وصف لنا الكاتب هذه البركة فيقول هي:" مياه بركانية عميقة تتجمع في بركة وسط النخيل، أطرافها صخرية واطئة غير أنه في الوسط بلا قعر، حتى إن لون المياه يتحول إلى الأسود من شدة كثافته، ومن يغرق فيها لا يجدون له جثة أو أثراً"[2].

فنجد هذا المكان مليئاً بالأحداث في رواية (أنوار)، حيث جرت فيه أحداث مهمة وهي محاولة إغراق أنوار في البركة من قبل هداية وهي الزوجة الثانية للسامري بمساعدة والدتها، مستغلات عدم وجود نساء في البركة بعد أن ذهبت النساء لبيوتهن" حاولت المرأتان وضع رأسها تحت الماء، تأكد لها بأنها مقبلة على الموت فانتفضت، قاومت وصرخت"[3].

---

(1) العدوان، طاهر، (2002)، أنوار، ط1، ص8، دار الكنوز الأدبية، بيروت- لبنان.

(2) المصدر نفسه: ص67.

(3) المصدر نفسه، ص96.

ولكن هذه الزوجة الدمشقية التي تزوجت من السامري، والتي تغربت، شاهدت الموت بعينها لا تجد إلا (شيحون) المجنون الذي أنقذها من هداية وأمها فكان يتفرد في اختلاس النظر إلى النساء في عريهن. فبدلاً أن يكون هذا المكان للترويح عن النفس كاد أن يصبح مسرحاً للجريمة.

3. المركب

يعد المركب مكاناً مغلقاً من الداخل، ويعد سطحه مكاناً مفتوحاً على مكان مفتوح وهو البحر، فالمركب من الداخل يمنح الألفة والمحبة للركاب، أما سطح المركب فعادة ما يكون مسرحاً للأحداث والأفعال والشخوص.

ففي رواية (أنوار) نجد أن بطلة الرواية أنوار قامت بالهرب مع والدها، جراء ظلم وتسلط زوجها عليها فهربت إلى بلدتها على مركب يحث خطاه في عرض البحر، وقد وصف الكاتب حالها وهي في المركب قائلاً:" اختلفت الظلمة وغابت النجوم مع المرجان، كانت قد وسدت كتفها على أطراف المركب، وعندما فتحت عينيها تمعنت طويلاً بمنظر مياه البحر المائلة إلى اللون الأخضر إنها تبدو ومن بعد زرقاء داكنة"[(1)].

حيث جعل العدوان من هذا المكان (المركب) الأمل الوحيد في نجاتها وهروبها من زوجها المتسلط الظالم.

ب. الأماكن المغلقة في رواية أنوار

1. البيت
2. السجن
3. السينما

---

(1) مصدر سابق: العدوان، طاهر، أنوار، ص186.

1. البيت

عندما نتحدث عن هذا المكان يتبادر إلى أذهاننا الاستقرار والحب والألفة والتعاون، ولكننا نجده في قرية المرجان عكس ذلك، فإنه يحمل الظلم، والتسلط، والسجن، وشرب الخمرة.

وذلك بيت حسن السامري زوج (أنوار)، بدلاً من أن يكون مكاناً للمحبة والمودة والسعادة الزوجية، أصبح عند السامري مكاناً للمجون وشرب الخمرة.

2. السجن

يعد هذا المكان معادياً للبشر، ومقيداً للحرية، حيث يعج بالمجرمين والسارقين وغيرهم من الرجال الشرفاء الذين دخلوه دفاعاً عن أرضهم وعرضهم.

لقد كان الشمراوي قائد مركز الأمن في بلدة المرجان، وكان حسن السامر وصديقه يتشاركان في تجارة(الويسكي)، حيث يؤمن الشمراوي لصديقه تهريب الشحنات من وإلى الميناء، وفي يوم من الأيام قام السامري بدعوة صديقه الشمراوي إلى بيته ليسهرا ويتسامرا ويتقارعا الكؤوس، فأعجب الشمراوي بزوجة صديقه حسن السامر، وبجمال هذه الزوجة وقرر الحصول عليها لما شاهده من جمال وفتون، فأدرك أن السجن هو الحل الوحيد للسامري حتى يتخلص منه، ويأخذ في التردد على بيت زوجته، ليشاهدها، حيث يقول الشمراوي:" لتذهب تجارة الويسكي إلى الجحيم بكل أرباحها ومسراتها مقابل تلك الظبية المستلقية على سرير هذا التافه"[1].

---

(1) مصدر سابق: العدوان، طاهر، أنوار، ص36.

فنجد أن الشمراوي تخلى عن صديقه السامر من أجل شهواته الدنيئة و الظفر بزوجته لذلك زجه بالسجن حتى يتفرد بها.

لقد كان هذا المكان ملجأً لأصحاب النفوذ أمثال الشمراوي في زج من يقفون في طريق مصالحهم الشخصية والدنيئة.

3. السينما

يعد هذا المكان للترفيه عن النفس، يذهب إليه الناس كي يشاهدوا الأفلام التي تعرض فيه، من أفلام كوميدية، تراجيدية، حربية، رومانسية، و يتمتعوا بها.

ففي قرية المرجان عارض رجل الإفتاء وجود سينما في ذلك المكان، ولكن سرعان ما بدل رأيه وفتواه تحت تهديد الأمريكان له فيقول الكاتب:" لكن تحت إصرار الأمريكيين أصدر فتوى غريبة: نعم للسينما لكن بدون سقف، لأن مشاهدة فيلم في الهواء الطلق ليس منكراً"[1].

نجد أن السيطرة والهيمنة الأمريكية جعلت المفتي يبدل رأيه،في السينما ويغير فتواه فيها على الرغم من أنه يعلم أنها مكان لبث الثقافة الغربية في بلادنا رغماً عنا، حتى يوصلوا رسالتهم من خلال ما يعرضون من أفلام لتغيير ثقافتنا وعاداتنا وقيمنا وخلخلة المجتمع العربي الإسلامي.

---

(1)مصدر سابق: العدوان، طاهر،أنوار،ص70.

الشخصيات

تُعد الشخصية عنصراً هاماً من العناصر الروائية التي تُشكل بنية النص الروائـــي حيــث "تكمن أهميتها في أننا نستطيع التوصل إلى الفكرة المطروحة في الرواية من خلالها. فالشخصية ليست مجموعة ممارسات بقدر ما هي فكره، والقارئ الجاد لا يعنيه كثيــراً متابعــة حركــات الشخصية، بقدر ما يحاول استكناه الفكرة المختفية خلف مراحل تطور الشخصية"[1].

فالشخصية هي المحور الرئيسي في الرواية وهي التي " تتكفل بإبراز الحدث، وعليها العبء الأول في الإقناع بمدى اهمية القضية المُثارة في القصة و قيمتها "[2].

و تنقسم الشخصية من خلال أهمية الدور الذي تقوم به إلى:

1- شخصيات رئيسة.

2- شخصيات ثانوية.

1- الشخصيات الرئيسة: هي الشخصيات " التي تقوم بدور أساسي وبارز في السرد وسير الأحداث ودفعها إلى الأمام"[3] حيث يعتمد تحديد الشخصية الرئيسة في الرواية على أساسين هما:

أ – كمي: وهي كثافة ظهورها في الحدث.

ب– نوعي: حيث تعتمد على أهمية الدور الذي تقوم به الشخصية في بناء السرد والحدث وتطورهما[4].

2 – الشخصيات الثانوية: وهي الشخصيات " التي تظهر في الرواية دون أن يحدث في تكوينها أي تغيير، وتصرفاتها لها طابع واحد لا يتغير "[5].

---

(1) مصدر سابق: قويدر.عيسى، عبدالرحمن منيف روائياً،ص 61.

(2) مصدر سابق: الخالق. نادر، الشخصية الروائية، ص40.

(3) مصدر سابق: الجبوري. عبدالرحمن، بناء الرواية عند حسن مطلك، ص91.

(4) مصدر سابق: بحراوي. حسن،بنية الشكل الروائي،ص132.

(5) مصدر سابق: عبيدي.مهدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا،ص 184.

ومن هذا المنطلق نجد أن الكاتب طاهر العدوان قسَم شخصيات رواياته إلى شخصيات رئيسة و ثانوية، وعلى هذا التقسيم سنعتمد تحليل الشخصيات الرئيسة والثانوية في الروايات ابتداءً بروايته.

1- (وجه الزمان).

أ – الشخصيات الرئيسة في الرواية.

1 – شخصية البطل:" قد يختار الكاتب هذه الشخصية لتكون المعبرة عن سلوك كثير من أبناء طبقتها الاجتماعية، ويحشد الكاتب كل جهده لإبراز هذا البطل فيعطيه الحيز الأكبر من حجم الرواية، لأنه الحامل لرسالة الكاتب و المُجسد لرؤيته و مواقفه من الحياة"[1]

وقد يوصف البطل في الرواية بأنه بطل ايجابي أو بطل سلبي، حيث يتمثل البطل الايجابي في رواية (وجه الزمان) بشخصية ضيف الله الذي كان رمزاً للشجاعة،و الاقدام، والتصدي للمرابيين المتسلطين، وردع الظلم. ومن طرف آخر يتمثل البطل السلبي في الرواية في شخصية عليان المرابي الذي كان رمزاً للجشع والربا والطمع.

2 – شخصية الجندي المقدام: لقد جسد الكاتب هذه الشخصية بشخصية الجندي الشجاع (أحمد العلي) التي تطور بها من شخصية بدوية، ريفية، فلاحية باحثة عن لقمة العيش، إلى شخصية عسكرية همها (البلاد و الوطن)، والدفاع عن المقدسات الإسلامية في فلسطين، وطرد العدو المحتل، والاستشهاد فيها دفاعاً عنها. إذ نجد الكاتب قد طور الشخصية من خلال احداث الرواية، حيث جسد شخصية والده الشهيد مفلح العدوان بشخصية الجندي (أحمد العلي) التي كانت رمزاً للأيديولوجيا القومية بعيداً عن الإقليمية.

---

(1)مصدر سابق: عبيدي.مهدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا،ص 183.

3 – شخصية الأم الصابرة: تتمثل في شخصية فاطمة التي تُمثل الصورة النموذجية للأُم الأردنية و العربية في الرواية، فهي امرأة صبور تحملت الألم و الشقاء في حياتها حيث فقدت والدتها في سن مبكرة، وقد كان عمرها تسع سنوات، و بعد عامين تزوجت من شاب" تتغنى برجولته فتيات الديرة، تركها ثلاث سنوات قبل أن يدخل بها زواجاً شرعياً، أحبته وانجبت منه خمسة أولاد و بنت، قضى منهما ولدان بالحمى قبل أن يبلغا الرابعة من العمر"[1] وبعد فترة من زواجها توفي زوجها تاركاً لها تربية الأولاد، ومصارعة الحياة في توفير لقمة العيش.

لقد طور الكاتب هذه الشخصية من خلال أحداث الرواية فقد كانت" تبدو للوهلة الأولى مجرد حكاية بسيطة لأسرة فاطمة الفلاحية ذات الأصول البدوية وما تعانيه من مشاكل وصعوبات مع الطبيعة في منطقة البقعة، أو مع المرابي عليان الطامع بالأرض"[2] حيث يستولي عليان المرابي على أرض فاطمة وأولادها وتضطر إلى الهجرة إلى صويلح، وتلتقي بأسرة فلسطينية مُهجرة، إذ تتوحد المعركة الاجتماعية مع المعركة الوطنية القومية في أمل رجوع أرض كل من العائلتين لهم.

ب – الشخصيات الثانوية أو الثابتة

فقد كانت هذه الشخصيات أقل أهمية وكثافة من الشخصيات الرئيسة في الرواية، حيث تتمثل هذه الشخصيات بشخصية (خليل عبدالباقي) المجاهد الفدائي المُهجر الفلسطيني، لقد أظهر لنا العدوان من خلال هذه الشخصية عمق التعاون والتكافل الاجتماعي بين الشعب الأردني والشعب الفلسطيني. حيث وحد الجمعان في مدينة صويلح بين الشخصية الفلسطينية الفدائية

(1)مصدر سابق: العدوان. طاهر، وجه الزمان، ص12.

(2)مصدر سابق: أبو نضال. نزيه، علامات على طريق الرواية في الأردن، ص40.

(خليل عبدالباقي) وبين الشخصية الرئيسة في الرواية (ضيف الله) حيث رصد مشهد التشرد ببعديه الاجتماعي والإنساني بعيداً عن التنظير السياسي.

2 – رواية (حائط الصفصاف)

تتواصل شخوص طاهر العدوان في روايته (حائط الصفصاف)، " كنماذج بشرية حياتها في صويلح، مرتبطة بخيط خفي من (الماضي) و لكن بأسماء جديدة، وأدوار تخضع لطبيعة الحياة في البلدة صويلح و للظروف السياسية و الوطنية العامة"[1].

ومن الشخصيات الرئيسة في الرواية التي تستكمل صورة وبنية المجتمع الأردني في بداية الخمسينات:

1 – شخصية (يوسف إبراهيم)

حيث جسد الكاتب في هذه الشخصية القومية، شخصية الإنسان العربي وكرهه للأجنبي المستعمر، فقد كان ضابطاً في الجيش وطُرد من الخدمة بسبب كراهيته وعدائه لقيادة الجيش؛ لأنها قيادة أجنبية، وما أن تم تعريب قيادة الجيش وطرد (كلوب باشا) من الخدمة، حتى عاد إلى الخدمة و استشهد في منطقة الخليل في اعتداء على الحدود.

2 – شخصية (ابو عزمي)

أبو عزمي شخصية ترمز إلى الفكر الشيوعي، وهو" والد ليلى وعزمي الشاب الذي انتظم في حزب (فريد الناجي) الشيوعي المُهجر الذي حمل السلاح، ودافع عن فلسطين وتزوج القضية، وظل أعزباً، ودخل السجن وخرج منه يوم طُرد الجنرال(كلوب) وتم تعريب الجيش"[2].

---

(1) مصدر سابق: الأزرعي. سليمان، الرواية الجديدة في الأردن، ص214.

(2) المصدر نفسه: ص215.

3 – شخصية (سيد المصري)

وهي شخصية تتجلى فيها الشجاعة والإقدام وعدم الخضوع للذل وذلك بأن جعل الكاتب منهُ رمزاً للثورة على الظلم والاستبداد والتسلط، إذ يطور من هذه الشخصية في روايته، بدءاً بقتل ابن الباشا الذي حاول أن يغتصب زوجته، إلى أن أصبح مدمناً على الكحول رغبةً في الهروب من الواقع.

4- شخصية (سميرة الممرضة)

وهي من الشخصيات المؤثرة في أحداث الرواية، فهي تعيش مع والدتها اللبنانية الأصل، حيث كان والدها الفلسطيني الأصل قد تزوج من والدتها ومنعها من زيارة أهلها في لبنـــان، إذ نجد أن الوالدة تمانع زواج ابنتها من (جميل السالم) وهي الشخصية الانانيـــة الـــذي حـــاول أن يغتصبها وعند فشله " تحول إلى ليلى بنت أبي عزمي بعد أن غادر خطيبها (محمـــود يوســـف) لإكمال دراسته في دمشق، وافقده وظيفته بتقرير أمني، وتسبب بسجنه، وهدد أبا عزمي بخراب بيت ابنه وإلحاقه (بمحمود يوسف)، ولكن محمود عاد وعقد قرانه مجدداً على ليلى، ممـــا حـــدا بجميل إلى قتلها في ثياب العرس"[(1)].

---

(1) ينظر المصدر السابق: الأزرعي ، سليمان، الرواية الجديدة في الأردن، ص218.

إذ نجد أن الكاتب استخدم الطريقة التحليلية في رسم الشخصيات، فقــد حلــل مــشاعرها وعواطفها وأيديولوجيتها وأتاح للشخصية أن تعبر عن نفسها وعن أفعالها وأقوالها. لهذا نجد أن الرواية تكتمل في الانسجام بالأحداث، والترابط الواقعي بعيداً عن غموض بعض الشخوص فيها التي تنطوي على أسرار مُبهمة، فنرى أن الكاتب تجاوزها حتى أصبحت إبداعاً واقعياً[1].

3- رواية (أنوار)

الشخصيات:

أ- شخصيات تجسد الجشع والطمع والتسلط واللامبالاة:

1- شخصية (درية والدة أنوار): وهي شخصية ترمز إلى الطمع في الغنى والثراء، فقد زوجت ابنتها من رجل يكبرها بستة وثلاثين عاماً، لأن لديه المال والثراء، حيث عملت على إغراء ابنتها في المال و الثراء والذهب والقصور إذا قبلت به زوجاً.

2- شخصية (حسن السامر): وهي شخصية ترمز إلى عدم الالتزام الديني والطمع والتسلط الذكوري، فقد جعل الكاتب من هذه الشخصية بطلاً سلبياً في الرواية، فقد اختار هذه الشخصية لتلائم الحوادث المسرودة في الرواية.

3- شخصية (سليم الياسميني والد أنوار): و هي شخصية ترمز إلى اللامبالاة وهو" نوع من الرجال الذين فقدوا الشعور بالأبوة نحو أبنائهم، غير أنه منذ أن فقد ابنه الوحيد في معركة الجولان خلال حرب الأيام الستة، فقد منسوب إحساسه العالي بالأسرة والأبوة"[2].

---

(1) مصدر سابق: الازرعي. سليمان، الرواية الجديدة في الاردن، ص218.

(2) مصدر سابق: العدوان. طاهر، أنوار،ص9.

ب- شخصية المظلوم:

تتمثل هذه الشخصية في بطلة الرواية (أنوار)التي ترمز إلى الفتاة العربية المظلومة مـــن الأهل والزوج والمجتمع، فقد ظُلمت بزواجها نتيجة طمع والدتها ولامبالاة والـــدها، فقـــد كـــان الكاتب يتحدث عن مجتمع لا يرحم الفتاة العربية التي تُزوج وهي صغيرة السن، وقد ظُلمت من الزوج الذي لم يكن صادقا معها بأنه متزوج قبلها، وأن ما شاهدته على الواقع مغاير عما كانت تتحدث به والدتها، حيث طور الكاتب الشخصية عبر الأحداث التي مرت معها.

الزمان

يعد الزمن بناء محورياً أساسياً في الرواية، وهو" أحد المكونات الحكائية التي تشكل بنيــة النص الروائي[1]. حيث " يمثل الزمن في الرواية بعداً بنائياً له خصوصيته في توضيح الحــدث وإبراز سمات الشخصية وعلاقتهما بالواقع"[2]، فهو عنصر مهم في بناء الإنسان الفكري، حيث يشكل الزمن للإنسان الظل الذي يلازمه طوال حياته، في ماضيه وحاضره ومستقبله.

فالزمن الماضي يحمل الذكريات التي لا تعود، والزمن الحاضر يشكل الــزمن الماضــي الذي يحمل المتاعب، والمستقبل يشكل الزمن القادم في الأمل والطموح.

وللزمن أبعاد، زمن وقوع الحدث، وزمن كتابة الحدث، وزمن قراءة الحدث، ولكن مــن بين هذه الأبعاد، بعداً واحداً يخضع للتحليل والنقد وهو زمن وقوع الحدث، فالزمن في الروايــة يتشكل في زمنين:

- **الأول: الزمن الخارجي**
- **الثاني: الزمن الداخلي**

فالزمن في الرواية ذو أهمية للأحداث والشخصيات" فالزمان والمكان أصبحا من دلالات الشخصية الروائية، فقد أصبح الكتاب يعتمدون عليها في توضيح الشخصية والتعريف بها"[3].

فالزمن الروائي عند طاهر العدوان له مكانه خاصة من الناحيتين الموضوعية والفنية، فهو يتحدث في رواياته عن وقائع حصلت في أزمان مختلفة، حيث كانت الروايات الثلاثة عند طاهر العدوان (وجه الزمان) و(حائط الصفصاف) و(أنوار) روايات واقعية تتحدث عن واقع المجتمع في تلك الأزمنة، فالروايات الواقعية" تعتمد فترة زمنية محددة تصلح أن تكون خلفية لأحداث

---

(1) مصدر سابق: أحمد، مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ص233.

(2) عبد الخالق، نادر، (2009)، الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني، ط1، ص417، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

(3) المصدر نفسه: ص419.

الرواية، حيث تتبنى إحداثيات زمنية محددة، تساهم في بيان المناخ الزمني العام المحيط بالشخصية، وبالتالي يكون العمل الروائي مرحلة تاريخية لفترة ما من التاريخ"(1).

لقد احتوت الرواية الواقعية على مؤشرات زمنية محددة، فالزمن له بداية ونهاية، فنجد أن روايات العدوان الثلاث لا يوجد فيها تقاطع بين الفترات حتى لا يؤثر على مصداقيتها وواقعيتها، إذ كانت متميزة بالمرجعية التاريخية في تحديد الزمن كما يلي:

1. رواية (وجه الزمان) حرب 1948م وما قبلها وما بعدها.
2. رواية (حائط الصفصاف) فترة الخمسينات.
3. رواية (أنوار) فترة التسعينات.

1. رواية (وجه الزمان)

رصدت هذه الرواية الأحداث في فترة الأربعينات، وخاصة زمن وقوع النكبة التي حلت بالفلسطينيين عام 1948م.حيث يذكر العدوان في أول صفحة من الرواية، الزمن الذي ابتدأت أحداث الرواية فيه وهو عام(1942)م، حيث يذهب هذا الزمن بالقارئ إلى الماضي، وما وقع في تلك الفترة من أحداث انعكست على شخصيات الرواية، حتى يصل إلى فترة الخمسينات.

وعندما نذكر هذه المرحلة فإننا نذكر التاريخ الأهم وهو عام (1948)م، عام النكبة حيث كان هذا التاريخ نقطة تحول للمجتمع العربي عامة، والمجتمع الفلسطيني خاصة، حيث رسم لنا العدوان لوحة فنية لهذه الفترة، فوصف لنا كيف كانت شخصيات الرواية قبل هذا التاريخ وكيف أصبحت بعده.

---

(1) أبو شهاب، رامي، (2008)، بناء الشخصية الرمزية في الروايات الأردنية (1967-2003) ط1، ص189،أمانة عمان الكبرى.

فنجد أن شخصية أحمد الذي التحق بالجيش كانت ترى أن منطقة فلسطين في خطر فيقول محدثاً أفراد عشيرته" يا إخوان بلاد العرب في خطر... ومقدسات المسلمين بالقدس في خطر كبير"[1].

فقد كان أحمد مسترسلاً بالحديث عن الأخطار التي تواجه الأمة العربية، جــراء وجــود الإنجليز واليهود في فلسطين، عندما كان ملتحقاً بسريته في فلسطين، حيث ينقل المــشهد إلــى جلسائه فيقول:" أنا رأيت بعيوني يهوداً تعجز عن أن تحصيهم في فلسطين. البواخر ترمي كــل يوم الآلاف بمساعدة الإنجليز... وكلما حاول أهل البلاد منعهم تصدى لهم الجيش الإنجليزي"[2].

فقد كانت فترة ما قبل 1948م تحظى ببعض الهدوء الذي يسبق عاصفة 1948م ونكبــة فلسطين وما نتج عنها من تأثير على شخصيات الرواية وعلى أحداث الرواية من تهجير وقتــل وسلب الأرض المقدسة من أصحابها في فلسطين، فكأن هذا الزمن هو زمــن الظلــم والقمــع والمصائب.

لقد قابل العدوان بين شخصيات روايته، فقد قابل بين ضيف الله الذي هُجر من أرضه نتيجة للمال الربوي، وبين أبي تيسير الذي هُجر من أرضه غصباً من العدو الصهيوني، وجمع بينهما في منطقة (صويلح) فضيف الله هجر في دولته و لكن أبا تيسير هُجر من دولة إلى دولة" فالعدو واحد سواء سقطت ضحاياه بقرار سياسي إثر توسع نفوذ وتعزز سطوة رأس المال الربوي، أو بأثر المذابح الجماعية، وهكذا كان للزمان وجه واحد عند طاهر العدوان (المهم الأرض)" [3].

---

(1) مصدر سابق: العدوان، طاهر، وجه الزمان، ص29.

(2) المصدر نفسه:ص29.

(3) الازرعي، سليمان، (2002)، فلسطين في الرواية الأردنية، ط1، ص88، دار مجدلاوي.

2. رواية (حائط الصفصاف)

نجد أن العدوان في هذه الرواية يتبع الأحداث التي جرت في فترة الخمسينات وتأثيرها على الشخصيات والمجتمع من تحولات اجتماعية، وفكرية، وسياسية، واقتصادية.

لقد كانت هذه الفترة من الزمن "استكمال مشهد المعاناة الفلسطيني في الرواية الأردنية، سواء على صعيد الترحال والتشرد، أو المعاناة بعد الاستقرار كاللاجئين يقاسمون أشقاءهم لقمة العيش وفسحة الأمل الوطني القومي"[1].

فقد غير الزمن من الشخصيات والأحداث والمكان بعد حرب عام 1948م، حيث أصبح الفلسطينيون يعيشون على الأمل القادم، فقد كانت فترة الخمسينات تعج ببعض التواريخ الزمنية المهمة للأردنيين فكان تاريخ (1956) هو تعريب قيادة الجيش الأردني فقد كان الفلسطنيون" يستبشرون ليرفع عنهم المعاناة، ويعطيهم الأمل الجديد خيراً بتعريب الجيش الأردني، وطرد قيادته الإنجليزية"[2].

فقد أصبحت الشخصيات الفلسطينية في الرواية بعد النكبة 1948م، تفكر بقضيتهم الوطنية، والعودة إلى أرضهم وهم دائماً يتذكرون قراهم التي أخرجهم اليهود منها فتقول أم تيسير لزوجها" تذكرت اليوم فرن الطابون في ساحة الدار... اشتهيت رغيفاً ساخناً أعجنه بالزيت والبصل"[3].

فيرد عليها ويقول: " غداً أقيم لك واحداً هنا... أسندت رأسها على كفها وقالت: لن يكون مثله"[4].

---

(1) مصدر سابق: الأزرعي، سليمان، فلسطين في الرواية الأردنية، ص94.

(2) المصدر نفسه: ص95.

(3) مصدر سابق: العدوان، ظاهر، حائط الصفصاف، ص117.

(4) المصدر نفسه، ص117.

ونستخلص من هذا الحوار أن الإنسان مهما ابتعد عن أرضه، سيبقى يشتاق إليها ولا تغادر تفكيره.

لقد كان العدوان موفقاً باختياره هذه الفترة من الزمن للكتابة عن أحداثها وشخصياتها، فجاءت الرواية واقعية في أحداثها.

3. الزمن في رواية (أنوار)

يعد زمن أحداث رواية أنوار مختلفاً كل الاختلاف عن زمن أحداث روايتي العدوان (وجه الزمان)، و (حائط الصفصاف) فهي في زمن التسعينات.حيث يعد هذا الزمن للفتاة العربية، زمن تسلط وظلم واحتقار، فهذا ما نقله لنا العدوان في روايته (أنوار)، فالظلم موجود منذ الأزل، ولكننا نشاهد هذا الظلم يزداد في هذه الفترة، فالثراء والغنى لبعض الفاسدين من الناس مشكلة كبرى على مجتمعاتنا، في عاداته وقيمه وتقاليده ودينه.

فالزمان لا يتغير وإنما تتغير أحداثه، حيث تتجه رواية (أنوار) بأحداثها نحو ظلم المرأة، فقد كانت الزوجة مظلومة فهي في نظر بعض(الفاسدين) عبارة عن سلعة تباع وتشترى، وبطلتنا في الرواية هي (أنوار) التي ظلمت من زوجها، فقد كان يكبرها بستة وثلاثين عاماً وهذا أكبر ظلم يقع على الفتاة بأن تتزوج رجلاً يكبرها بكثير من السنين.

لقد جمع العدوان في رواياته الثلاث مفهوم (الظلم) ولكن كانت كل فترة تختلف في ظلمها لمجتمعها عن الأخرى.

الحدث

يعد الحدث من المكونات الرئيسية في الرواية، حيث يشكل العمود الفقري لعناصر الرواية (المكان، الزمان، الشخصية، اللغة)، " فالحدث جزء من حياة الإنسان، يؤثر في جريانها، ويؤثر في تكوين الشخصية البشرية نفسياً وثقافياً، حسب تراكم الخبرات، وإذا كان البشر هم الذين يصنعون الحدث، فإن الحدث يقوم بارتكاس لا يقل عن فعل الإنسان"[(1)].

وهو أيضاً " مجموعة الأفعال والوقائع مرتبة ترتيباً سببياً، تدور حول موضوع عام، وتصور الشخصية وتكشف عن أبعادها وصراعاتها مع الشخصيات الأخرى"[(2)].

فالحدث يرتبط بالشخصية، ولا يوجد حدث بدون شخصية، ولا شخصية بدون حدث، فالمؤلف لا يستطيع أن يفصل في مؤلفاته بين الشخصية والحدث، فكلاهما مرتبط بالآخر حيث تظهر الشخصية من خلال أحداثها.

فالحدث الروائي يختلف اختلافاً كلياً عن الحدث الواقعي، لأن الكاتب حين يكتب روايته يختار من الأحداث الحياتية ما يراه مناسباً لكتابة روايته، كما أنه ينتقي ويحذف ويضيف من مخزونه الثقافي ومن خياله الفني، ما يجعل من الحدث الروائي شيئاً آخر، لا نجد له في واقعنا المعاش مرادفاً[(3)].

فالشخصية الروائية هي التي توجد الحدث، فهي تتأثر بالمواقف الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، مما يؤثر في الحدث.

---

(1) مصدر سابق: عبد، مهدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، ص207.

(2) زكي، أحمد كمال (1980)، دراسات في النقد الأدبي، ص59، دار الأندلس.

(3) المصدر نفسه: ص208.

إذ تضم رواياته مجموعة كبيرة من الأحداث الرئيسية والتي تتمثل بالواقع والسياسة، والاقتصاد، والتاريخ.

ففي رواية (وجه الزمان)، نجد أنها اشتملت على أحداث رئيسية وهي:

1. التحاق (أحمد العلي) بالجيش حتى استشهاده.
2. استيلاء المرابي عليان على أرض ضيف الله.
3. وفاة محمد أخي ضيف الله.
4. تهجير الفلسطينيين من أرضهم.

ففي هذه الرواية نجد أن العدوان كان موفقاً في تتبع الأحداث السياسية والاجتماعية في منطقتي الأردن وفلسطين.

1. التحاق (أحمد العلي) بالجيش حتى استشهاده

كان التحاق أحمد بالجيش من أهم الأحداث في رواية العدوان، " أظهر أحمد رغبته في الالتحاق بالجيش فقد يساعده راتبه على تغطية مصاريفه وسداد الدين"[(1)].

السبب الذي جعل أحمد يريد الالتحاق بالجيش هو سداد ما عليهم من ديون للمرابي عليان الذي يريد الاستيلاء على أرضهم، فخاف أن تذهب الأرض من بين أيديهم فالتحق بالجيش.

وبعد أن التحق بالجيش، انتقلت سريته إلى فلسطين، وبعد شهر رجع أحمد من فلسطين في إجازة في سيارة عسكرية أنزلته في منطقة صويلح فقد " أحس بالدفء يملأ قلبه، مع شعوره بأنه يسير الآن وسط معارفه وقريباً من أهله وديرته، أرسل صوته بأهزوجة جديدة تعلمها من فلسطين طالعة من بيت أبوها رايحه لبيت الجيران"[(2)].

---

(1) مصدر سابق: العدوان، وجه الزمان، ص14.

(2) المصدر نفسه: ص25.

وهذا يدل على مدى السعادة والفرح التي كانت تغمر أحمد وهو عائد من قريته بين أهله وأقربائه.

وعند مواصلة سيره إلى قريته هم بالجلوس إلى صخرة مركونة إلى جانب الطريق مع بعض الفلاحين الذين يعملون في أرضهم.

وبالرغم من أن أحمد في بداية خدمته العسكرية لم يكن مرتاحاً للقسوة التي يعامل بها الجنود، إلا أنه عشق شاراته العسكرية وسلاحه" في معسكر التدريب بالمفرق، حيث وقع نظره لأول مرة على ضباط إنجليز، يتكلمون العربية بلكنه مضحكة... لم يكن مرتاحاً في البداية للقسوة والصرامة التي يعامل بها الجنود، تحت اسم الطاعة والنظام، تنازعته طبيعته البدوية التي تعودت على الحرية، فشعر بالضيق والاختناق حيث إنه ما كادت تمر الأسابيع الأولى، حتى أحس بانتمائه إلى مجتمع جديد شباب في سنه من أبناء العشائر الأخرى"[1].

لقد خفف عليه زملاؤه من أبناء العشائر، فأحس بالرجولة واستمد القوة من الجيش وكثيراً ما كان أحمد يقارن ما كان عليه قبل التحاقه بالعسكرية وبين ما أصبح عليه" استعاد وقائع الاحتفال العسكري، الذي أقيم بمناسبة تخرج أفراد سريته، إنه يوم لا ينساه لقد اختاره الضابط في مقدمة العرض بسبب طوله ولياقته البدنية.

ليت الاحتفال جرى هنا على هذا السهل الفسيح ليرى الجميع... لترى شيره آه ما أجمل أن تكون جندياً"[2].

---

(1) مصدر سابق: العدوان، طاهر، وجه الزمان، ص26.

(2) المصدر نفسه: ص27.

حيث يواصل مسيره إلى القرية إلى أن يصل إليها، وفي المساء تقوم فاطمة والدة أحمد بإعداد المناسف احتفالاً بقدوم ابنها من فلسطين، وبعد العشاء يتسامر رجال القبيلة، ويتبادلون الحديث، حيث يجلس أحمد معهم فيحدثهم عن الجيش وعن الأخطار التي تواجه الدولة الفلسطينية فيقول:" الجيش ما هو مخافر، الجيش بنادق و دبابات ومدافع وخنادق، الجيش خط النار، حيث يستعد لقتال اليهود في فلسطين"[1].

وتتوالى أحداث الرواية إلى أن تصل إلى إرسال كتيبة أحمد للمشاركة في الحرب ضد العدو الصهيوني، فيطمئن والدته حتى لا تخاف عليه قائلاً:" إنه مجرد تحرك للقوات، قد نعسكر في الشونة أو ربما نذهب إلى فلسطين.

لا تبكي... إن الآلاف مثلي في طريقهم إلى الحرب... إننا نلبي نداء الواجب أتريدين مني أقف أن أحرس الأسلاك في معسكر المفرق... أنا جندي وخلقت للحرب"[2].

حيث توصي فاطمة ابنها وتقول له:" خلي بارودتك معمرة دائماً... احترس يا ولدي ترى اليهود غدارين"[3].

فيذهب أحمد إلى فلسطين؛ ليقاتل اليهود، فكانت معركة (كفار عصيون) من أهم المعارك على أرض فلسطين، فقد كانت (كفار عصيون) محصنة، وتصلها الإمدادات من الجو، فهذه المنطقة " تعتبر رأس الجسر للقوات الصهيونية المعادية التي تطمع بالسيطرة على منطقة الخليل"[4].

---

(1) مصدر سابق: العدوان، طاهر، وجه الزمان،ص29.
(2) المصدر نفسه ص170
(3) المصدر نفسه: ص171.
(4) المصدر نفسه: ص174.

فقد كانت تقاتل وتقاوم الجيش العربي بكل قوة؛ ولأنها قتلت كثيراً من المواطنين والجيش لا بدّ أن تعاقب، فكان قرار قائد القوات العربية باقتحام هذه المستوطنة، ولأن أحمد العلي ذو شجاعة كان أول من لبى نداء القائد العربي، حيث تقدمت سرية أحمد التي تتألف من قائد السرية، والجندي الأول أحمد وأربعين من الجنود للقيام بهذه المهمة التي يشرف كل جندي القيام بها.

لقد " تمكن أحمد ورفاقه من الوصول إلى الأسلاك الشائكة تحت غطاء من نيران القوات الخلفية.. حيث عملوا على تقطيع الأسلاك بواسطة المقصات.

كانت الساعة تشير إلى الثانية والنصف، عندما نهض الجندي الأول العلي يحمل بندقيته بعد أن ثبت عليها السلاح الأبيض، للهجوم على خندق العدو... بعد الالتحام وتطهير الخندق الأخر، غير أن رصاصة أصابته في عنقه فسقط أحمد مضرجاً بدماء الشهادة والشرف"[1].

هذا هو الجندي العربي الشجاع (أحمد العلي) الذي عاش حراً ومات شهيداً مدافعاً عن الأرض المقدسة فلسطين، فقد كانت خسائر العدو في هذه المعركة كبيرة إذ " بلغت في هذه المعركة مئتي قتيل، ومئتين وسبعة وثمانين أسيراً، أما النساء والشيوخ فقد نقلوا إلى مواقع بعيدة بواسطة الصليب الأحمر، وتم نقل الأسرى إلى معسكر المفرق في الأردن...سقط من الجيش أربعة عشر شهيداً[2].

---

(1) مصدر سابق: العدوان، طاهر، وجه الزمان، ص174.

(2) المصدر نفسه: ص175.

2. استيلاء عليان على أرض ضيف الله

كان هذا الحدث مؤثراً في شخصية ضيف الله وعائلته، فالأرض هي رأس مال الفلاح، فإذا ضاعت ضاع مصدر عيشهم فأرض الفلاح شرفه وكرامته، وهي كأمه يحتضنها وتحتضنه.

أراد العدوان أن يظهر مدى تعلق الفلاح بأرضه والدفاع عنها حتى لو كلفه حياته، فكانت شخصية ضيف الله تتطور في الرواية من خلال الأحداث التي قام بها دفاعاً عن أرضه، لقد استولى عليان المرابي على أرض ضيف الله، نتيجة عدم قدرة ضيف الله على دفع ما عليه من مال مقابل ما يشتريه من أغراض من دكان عليان، فكانت النتيجة رهن الأرض لعليان، الذي رغب في الاستيلاء على الأرض، لتتأزم الأحداث ويتدخل (الشيخ عودة) في القضية ويقول لسعود صديق عليان:" اسمع يا ابن العم... الأرض أرض أولاد فاطمة.. وأهل السهل من أولهم حتى أخرهم مدينون لعليان بما فيهم أنت وربعك، إن كان على الدين ينسد، لكن الأرض عزيزة مثلها مثل العرض"[1].

هذا الحدث جعل من شخصية ضيف الله شخصية عنيفة، مقاومة، هجومية، فأرد أن يقتل ابن عمه سعود وصديقه المرابي عليان، " وفي اليوم حدثت ضجة وبلبلة في السهل، بعد سماع إطلاق نار تبين فيما بعد أنه من ضيف الله الذي هاجم دار سعود، وتبادل معه إطلاق النار نفقت بعض المواشي والحيوانات، لكن أحداً لم يصب"[2].

هذا الحدث دفع رجال العشيرة للتنقل بين دار سعود ودار ضيف الله لإصلاح ذات البين، ولكن عليان أصر على أن يأخذ الأرض من ضيف الله فقد أصبحت له، وتقدم بشكوى على فاطمة وأولادها بأن لا يعترضوا طريقه أثناء ذهابه إلى أرضهم التي أصبحت له.

---

(1) مصدر سابق: العدوان، طاهر، وجه الزمان، ص129.

(2) المصدر نفسه: ص48.

ومنعاً لإراقة الدماء قررت فاطمة أن ترحل بأولادها إلى مدينة صويلح، فاشتروا أرضاً وأقاموا فيها، وقد كانت مشاعرهم حزينة على أرضهم التي ذهبت بغير وجه حق، فقد تهجروا من أرضهم رغماً عنهم كما تهجر الفلسطينيون من أرضهم كرهاً، فالظلم واحد سياسياً أو ربوياً، لذلك كان هذا الحدث مؤلماً على فاطمة وأولادها وعلى ساكني السهل.

3. وفاة محمد ابن فاطمة

لقد أوقع هذا الحدث الألم والحسرة في نفس والدته وإخوته، حيث يبدأ الحدث بعد إنهاء ضيف الله وأخيه محمد العمل، لقد كان محمد فرحاً بإنهاء العمل، حيث اندفع إلى المحراث ليضعه فوق الدابة دون أن ينتظر أخاه المنشغل بإحضار ما تبقى من البذور" وما أن هم الشاب بوضع المحراث فوق الدابة، حتى أحس بالعجز في أداء ذلك، حاول جاهداً غير أن الدابة لم تمهله فتحركت بعيداً ليسقط المحراث ثقله فوق قدمه"[(1)].

أسرع ضيف الله إليه، هزمته المشاعر، وترك المحراث عائداً بأخيه إلى البيت ولكن اشتدت الحمى على أخيه، وتورمت رجله، حيث اكتست بالألوان، لكثرة ما أوصى زائريه من نساء ورجال من وصفات طبية، ولكن والدة محمد خافت على ابنها أن يضيع منها، فذهبت به مع أخيه إلى المستشفى في عمان، ونظراً لعدم توفر وسيلة مواصلات سريعة في القرية حملوه على دابة حتى أوصلوه المستشفى، وفي المستشفى أخذ الطبيب يُقرع ضيف الله لأنه لم يحضره وقت وقوع الإصابة، وأصر أن يرقد محمد في المستشفى حتى ينهي علاجه، حيث تتأزم حالة محمد المرضية ولم يستطع العلاج شفاءه فكان الحل هو بتر رجله. حيث رفضت عائلة محمد هذا الحل، فجلس الطبيب معهم محاولاً إقناع العائلة بهذا الحل للانتهاء من هذا المرض وشفاء محمد ولأنه لم يكن هناك خيار آخر قبلوا بالأمر.

---

(1) مصدر سابق: العدوان، طاهر، وجه الزمان، ص 48.

وتتوالى الأحداث بعد بتر رجله وخروجه من المستشفى حيث تدهورت حالته الصحية، وأخذت حرارته ترتفع فلم تستطع كمادات الماء تخفيضها وأصبح جسد الصبي يرتعش من الحمى، ولم يناموا الليل من خوفهم على إبنهم، وزار الموت دار فاطمة فتوفى محمد مُخلفاً الحزن والأسى على وجه والدته وأخوته، وحمّل ضيف الله عليان المرابي السبب في موت أخيه "لو لم يستولِ عليان على نصف غلتنا هذه السنة، وما قبلها وما قبلها لكان معنا مصاريف أسبوع أو عشرة أيام في المستشفى"(1).

4. تهجير الفلسطينيين من أرضهم

كان هذا المشهد مأساوياً، يدمي قلوب العرب على ما قام به العدو ضد الشعب الفلسطيني، فقد كان الفلسطينيون ضحية للقرارات السياسية، وكان عام 1948م، نكبة عليهم فقد تشردوا من ديارهم إلى الدول المجاورة.

لقد جمع الكاتب بين المهجرين من فلسطين إثر النكبة والمهجرين من أراضيهم إثر بشاعة المال الربوي، حيث كان الحدث له وقع مؤثر على الجهتين.

وتطرق الكاتب إلى حسن الضيافة الأردنية، وما يمتاز به الاردنيون من كرم ونخوة عربية بالترحيب بإخوانهم الفلسطينيين المهجرين فتقول فاطمة:" الدار داركم وما يقسم الله به هو بيننا وبينكم"(2).

وتفتح فاطمة باب الأمل لهم وتقول:" ستعودون إلى أرضكم مثلما أنا عائد إلى السهل"(3).

(1) مصدر سابق: العدوان، طاهر، وجه الزمان، ص63.

(2) المصدر نفسه: ص156.

(3) المصدر نفسه: ص156.

وفي رواية (حائط الصفصاف)، قد نجد الكثير من الأحداث الرئيسية والثانوية ومن أهمها:

1. تعريب قيادة الجيش الأردني وطرد قيادته الإنجليزية (كلوب باشا).
2. قتل جميل السالم لليلى خطيبة محمود يوسف.
3. قتل السيد المصري ابن الباشا.

1. تعريب قيادة الجيش الأردني وطرد قيادته الإنجليزية (كلوب باشا)

الرواية الأردنية هي مرآة لأحداث المهجرين الفلسطينيين، حيث كان تعريب الجيش الأردني يمنح الأمل في نفوس المهجرين في الرجوع إلى بلادهم.

فقد كان هذا القرار بأمر من جلالة الملك حسين بن طلال طيب الله ثراه، فكان منسقاً مع الضباط الأردنيين الأحرار، بإعفاء الضباط الإنجليز وعلى رأسهم الضابط الإنجليزي (كلوب باشا) من مناصبهم.

هذا القرار أوقد الأمل في نفوس المهجرين الفلسطينيين في الأردن، فهذا المهجر (جابر السعد) الذي سمع بهذا الخبر فانطلق إلى صديقه (يوسف إبراهيم) حتى يخبره ويقول له:" أبشر يا أبا محمود... الملك طرد الجنرال، وجميع الضباط الإنجليز... عقدت الدهشة لسان يوسف...صاح بعد لحظة:

يا لها من بشرى عظيمة"[1].

حيث كان هذا الحدث موقداً للأمل عند المهجرين الفلسطينيين الذين يأملون بالعودة إلى ديارهم.

---

(1) مصدر سابق: العدوان، طاهر، حائط الصفصاف، ص93.

2. اغتيال (جميل السالم) لليلى خطيبة محمود يوسف

كان هذا الحدث مؤثراً في رواية العدوان، حيث أظهر لنا الكاتب هذا الحدث الذي فقد رومانسيته باغتيال (جميل السالم) لليلى فأصبح حدثاً جرمياً.

لقد كان (جميل السالم) يحب (سميرة)، ولكنه عندما رأى (ليلى ابنة أبي عزمي) أعجب بها أكثر من سميرة نظراً لجمالها وأخذ يميل إليها مع أنها كانت مخطوبة (لمحمود ابن يوسف) الذي خطبها وذهب ليكمل دراسته في دمشق، فاستغل (جميل السالم) فترة غياب محمود ليتقرب إلى أبيها في البداية ثم أصبح يهدده بما يعرف عن ابنه ومرافقته (لفريد الناجي) الذي يحمل الفكر الشيوعي،حيث أجبره على فسخ خطوبة ليلى من محمود لتتوالى الأحداث وتعود ليلى لخطيبها محمود ويتم تحديد موعد للزفاف إلا أن جميل السالم لا يتقبل زواج ليلى، ويختفي عن الأنظار، ولا يظهر إلا في يوم الزفاف، وقد كانت ليلى تنتظر عريسها وفجأة يظهر أمامها (جميل السالم) "باغت الجميع باندفاعه، حيث سدد فوهة بندقيته نحو صدر العروس"[1].فأرداها قتيلة، فكان هذا المشهد محزناً ومأساوياً لجميع المدعوين.

3. قتل السيد المصري لابن الباشا

هذا الحدث الذي أثار في الرواية عنصر التشويق والإثارة، لمعرفة ما كان يُخفي (سيد المصري) عن أهل القرية، فقد كان يشرب الخمرة ليلاً لكي ينسى همومه التي يحملها، وفي النهار رجل تحلو الجلسة بحضوره.

السيد المصري كان يسكن في قرية في مصر، وهو من طبقة الفلاحين، وكان في بلده (باشا) وله ابن مدللٌ، أنانيٌ، فقد استكثر على السيد سعادته في زواجه الذي مضى عليه شهران، وعندما كان جالساً في القهوة مرت عربة ابن الباشا بالطريق المؤدية إلى بيت سيد، فلحقه سيد،

---

(1) مصدر سابق: العدوان، طاهر، حائط الصفصاف، ص243.

وإذا بالعربة واقفة أمام بيته، فتوقف لحظة قبل أن يدخل ليتأكد من إخلاص زوجته له، فسمع صراخ زوجته، فدخل البيت ليتفاجأ بأن ابن الباشا يريد أن يغتصب زوجته، فضربه السيد بالفأس الذي غرسها في ظهره، وبعد ذلك هرب إلى القاهرة، ومن ثم سافر إلى تل أبيب و كان يعمل عند الخواجات في بيارة، وبعد أحداث 1948م، في فلسطين انتقل إلى الأردن.هذا الحدث جعل من السيد رجلاً يقضي ليله بشرب الخمرة، لكي يتناسى همومه وجرمه.

أما رواية (أنوار) فإنها اشتملت على أحداث كثيرة أهمها:

1- زواج (حسن السامر) من أنوار

كان هذا الحدث في الرواية رئيسياً ومهماً حيث نبدأ عندما ذهب (حسن السامر) إلى دمشق يريد أن يتزوج من فتاة جميلة فكانت (أنوار) هي الضحية؛ في البداية كانت مترددة في الزواج من هذا الرجل لأنه يكبرها بالعمر، ولكنها اقتنعت بما قالته لها والدتها عن هذا الرجل الثري الذي سيشتري لها الحرير، ويلبسها الياقوت واللؤلؤ، وأنها سوف تسكن في (قرية المرجان) الثرية.

تزوجت (أنوار) بهذا الرجل وأخذها في شهر عسل الى القاهرة، وبعد ذلك ذهب بها إلى بلدته (قرية المرجان) في الخليج العربي، وعند نزولها من الطائرة شعرت (أنوار) بأنها ستكون غريبة في بلاد لا تعرفها، ولكن هذا الزوج لم يخفف عنها في قريتها الجديدة، وإنما عاملها وكأنها جارية، فلم ينظر إليها نظرة الزوج المحب لزوجته، وإنما نظر إلى جسدها ليشبع رغباته وشهواته، كان هذا الزواج بالنسبة لها كالسجن مقيداً للحرية.

2- الاعتداء على (أنوار)

لقد جعل من شخصية المعلم (عبد السلام) الذي اعتدى على (أنوار) شخصية وحشية لما فعله بها، فقد كان يسكن في العمارة المقابلة لبيت (أنوار)، وقد شاهدها على سطح بيتها أكثر من مرة، وقد أرسل إليها في إحدى المرات إشارة لها باللقاء حيث كان اليوم الأول وكانت تهز رأسها بالنفي، وفي يوم استثنائي طلبت منه أن يسير مقابلها على الطرف الأخر من الشارع، فأرسل إليها عبارات الغزل المختلطة بالشهوة.

حيث تتوالى الأحداث إلى أن جاء يوم فاض به الحب، وأرقه الجوع وعطش الجسد، قرر أن يذهب إلى بيتها " تطلع إلى ساعة يده وذهب للقائها قبل الموعد بنصف ساعة، ومضى بخطوات عسكرية إلى باب منزلها وتجرأ فدق بابها وخرجت إليه فزعة"[1].

ففي هذه اللحظة كان يمسح عرقه ورجاها بأن تسمح له بالدخول إلى بيتها فصدته، فدخل البيت رغماً عنها، وأمسك بجسدها بين ذراعيه، وهي تقول له ابتعد لا تقترب مني". قاومته بشراسة وأطلقت يديها وأسنانها في جسده، اندفع وتمادى إلا أن قوتها أذهلته، وخشي من صراخها، قفزت من بين يديه مثل نمرة ورأته يخرج هلعاً دامياً"[2].

حيث ذهبت (أنوار) باكية إلى سريرها بعد هذه المعركة وهرب هو إلى مسكنه خائفاً من أن يلحظه زوجها، فكان هذا المشهد محزنا، مؤلماً على (أنوار) و مُخيفاً لعبد السلام.

(1) مصدر سابق: العدوان، طاهر، حائط الصفصاف، ص45.

(2) مصدر سابق: العدوان، طاهر، أنوار،ص45.

3.محاولة لإغراق (أنوار) في مياه بركة التنور

فقد كان هذا الحدث مهماً في ربط الأحداث المتداخلة، فقد كانت محاولة إغراق هداية وهي الزوجة الثانية للسامر، لإغراق (أنوار)، مستغلة عدم وجود نساء في البركة، حيث حاولت هداية ووالدتها وضع رأس أنوار لكي تغرق، ولكنها قاومت ودافعت حتى لا تغرق، فقد كان يشاهد هذا المنظر (شيحون) المجنون الذي كان يقوم باختلاس النظر إلى النساء وهن عاريات.حيث أنقذها من المرأتين المتوحشتين، اللتين أعمى قلوبهن الحقد والكره من جمال (أنوار).

هذا الحدث جعل القارئ يشعر بمشاعر متناقضة بين الشفقة على حال أنوار التي عاشت الظلم من والديها وزوجها وجيرانها، ومن جهة أخرى إدانة خيانتها لزوجها بعشقها لرجل آخر.

يكشف لنا العدوان في رواية (أنوار) الظلم الواقع على المرأة، والتسلط الذكوري، والفساد الاجتماعي في فترة التسعينات، على عكس روايتيه السابقتين (وجه الزمان) و(حائط الصفصاف) حيث كشف لنا من خلالهما الظلم السياسي الواقع على المنطقة العربية، خلال فترة الاربعينات والخمسينات.

الخاتمة

كشفت هذه الدراسة عن أثر الأيديولوجيا في الرواية الأردنية، وقد تجلت من خلال دراسة روايات الكاتب طاهر العدوان، الذي استطاع من خلال ابداعه الروائي أن يقدم تجربة روائية متميزة تعبر عن الهموم السياسية والاجتماعية والذاتية التي عاشها جيله.

وقد تضمنت الدراسة ثلاثة فصول هي:

1- الأيديولوجيا في الرواية الأردنية.

2- المضامين الروائية في روايات طاهر العدوان.

3- الدراسة الفنية في روايات طاهر العدوان.

بينت الدراسة في فصلها الأول أثراً و اضحاً في للأيديولوجيا في الرواية الأردنية، حيث غلب الفكر السياسي والاجتماعي على فكر الأدباء، نتيجة الظروف السائدة، في تلك المرحلة (من النكبة إلى النكسة)،حيث كان له انعكاساً في الطابع العام الذي أخذته شكل الرواية الأردنية.

وكذلك أظهرت الدراسة الأيديولوجية القومية العربية التي عكست فكر الأدباء تجاه القضية الفلسطينية في روايتي (وجه الزمان) و (حائط الصفصاف)، واهتمت بالقضايا السياسية، والوطنية، والاجتماعية،

وفي الفصل الثاني أظهرت الدراسة في نتائجها أن روايات طاهر العدوان كغيرها من الروايات الأردنية، احتوت على المضامين الاجتماعية(كالفقر والربا والزواج)، وعن العلاقة الوثيقة بين الشعب الأردني والفلسطيني، نتيجة الاحداث السياسية في فترة الأربعينات والخمسينات، وترسيخ الرابطة القومية، ونفي التجزئة والفرقة القطرية أو الإقليمية.

وقد أظهرت الدراسة في نتائجها في ما يخص الفصل الثالث وجود علاقة وثيقة مترابطـــة فـــي البناء الفني للروايات من حيث (المكان، الشخصيات، الزمان، الحدث) وقد اهتم الكاتب بالبنـــاء الفني في رواياته.

وفي النهاية لا أملك إلا أن اقول انني قد عرضت رأيـــي وأدليـــت بفكرتـــي، فـــي هـــذا الموضوع، لعلي قد أكون قد وفقت في كتابته، فإن اصبت فهذا من الله عز وجل، وان أخطـــأت فمن الشيطان.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- القرآن الكريم

1. العدوان، طاهر، (1987م)، وجه الزمان، ط1، دار الكرمل للنشر، عمان.
2. ....، (1989)، حائط الصفصاف، ط1، دار الكرمل للنشر، عمان.
3. ....، (2000)، أنوار، ط1، دار الكنور الأدبية، بيروت، لبنان.

ثانياً: المراجع

4. أبو شهاب، رامي، (2008)، بناء الشخصية الرمزية في الروايات الأردنيـــة (1967-2003) ط1، أمانة عمان الكبرى.
5. أبو نضال، نزيه (1996). علامات على طريق الرواية في الأردن،ط1، دار أزمنـــه للنشر و التوزيع.
6. أحمد، مرشد. (2005)، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
7. الأزرعي، سليمان(2002). فلسطين في الرواية الأردنية، ط1، دار مجدلاوي، عمان.
8. الأزرعي، سليمان، (1997م)، الرواية الجديدة في الأردن، ط1، المؤسسة العربيـــة للدراسات والنشر.
9. بحراوي، حسن. (1990)، بنية الشكل الروائي (الفضاء - الزمان - الشخـــصيات)، ط1، المركز الثقافي العربية، بيروت، الدار البيضاء.

10. البيطار، فراس (2003).الموسوعة السياسية والعسكرية، ج1، دار أسامه للنشر والتوزيع.

11. التل، سعيد، (1986م)، الأردن وفلسطين وجهة نظر عربية، دار اللواء للنشر والتوزيع.

12. الجبوري، عبد الرحمن. (2012)، بناء الرواية عند حسن مطلك- دراسة مقارنة- المكتب الجامعي الحديث، ط1، دار الكتب والوثائق القومية.

13. حداد، نبيل، (2003)، الراوية في الأردن فضاءات ومرتكزات، عمان، وزارة الثقافة.

14. الحفني، عبدالمنعم (2000). المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3، مكتبة مدبولي.

15. الخطيب، محمد، (1994)، القومية والوحدة- القسم الأول- الجزء الأول المقالات، ط1، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق.

16. خليفة، عبد الرحمن، 2006، المدخل في الايدلوجيا والحضارة، ط1، مكتبة بستان المعرفة، كفر الدوار.

17. رمزي، نبيل، (ب، ت)، علم اجتماع المعرفة، ط، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية.

18. زكي، أحمد كمال (1980)، دراسات في النقد الأدبي، دار الأندلس.

19. زلوم، حمودة (1995). في الرواية الأردنية، دائرة المطبوعات والنشر.

20. السعافين، إبراهيم، (1995)، الرواية في الأردن، ص75، منشورات لجنة تاريخ الأردن.

21. سيزا، قاسم. (1984)، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

22. شاهين، أسماء، (2001)، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

23. شبيل، عبد العزيز. (1987)، الفن الروائي عند غادة السمان، ط1، دار المعارف، تونس.

24. الطراونة، بهارة، (2012م)، هزاع البراري روائياً، ط1، دار أزمنة للتوزيع والنشر.

25. عبد الخالق، نادر، (2009)، الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني، ط1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

26. عبدالخالق، نادر، (2009)، الرواية الجديدة/ بحوث ودراسات تطبيقية، ط، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

27. عبدالفتاح، إسماعيل (2008). معجم المصطلحات السياسية و الاستراتيجية، ط1، العربي للنشر والتوزيع.

28. عبيدي، مهدي. (2011)، جماليات المكان في ثلاثية حنامينا، (حكاية بحار – الدقل – المرفأ البعيد)، ط10، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق.

29. العروي، عبدالله (2012). مفهوم الأيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، ط8.

30. عطيات، محمد (1985). القصة الطويلة في الأدب الأردني من بدء الإمارة 1921-1977، منشورات دائرة الثقافة و الفنون، عمان.

31. عطية الله، أحمد(1968). القاموس السياسي، ط3، دار النهضة العربية.

32. الفياض، سعود وآخرون، (1996)، ندوة بعنوان العلاقات الأردنية- الفلسطينية ابداعياً (رواية وجه الزمان) نموذجاً (للروائي طاهر العدوان)، منتدى عبد الحميد شومان الثقافي.

33. قطامي، سمير (1989). الحركة الأدبية في الأردن 1948-1967م، وزارة الثقافة والتراث القومي، عمان.

34. قطيشات، ياسر، (2009)، العلاقات السياسية الأردنية- العربية في ظل متغيرات النظام الإقليمي العربي من أيدلوجيا القومية إلى النزعة القطرية 1952-2004م، ط1، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع.

35. الكركي، خالد (1986). الرواية في الأردن، عمان.

36. لقاء مع الكاتب، بتاريخ 3-3-2013.

37. ماضي، شكري (2001)، الراوية في الأردن، جمعية عمال المطابع التعاونية.

38. ملتقى عمان الثقافي الأول، الرواية الأردنية عن الواقع المحلي والعربي، منشورات وزارة الثقافة، عمان.

39. الموسى، سليمان، (1982م)، أيام لا تنسى، وزارة الثقافة، عمان.

40. وهبه، مراد (1998). المعجم الفلسفي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

الرسائل الجامعية

41. قويدر، عيسى، (1984م)، عبد الرحمن منيف روائياً.

ثالثاً: المواقع الالكترونية

42. منتديات حروف الأردن.

43. www.jor1jo.com/showtheread.php?t=21521

44. قراءة في كلام على رواية وجه الزمان.

45. /arc/art1.php?id=137ccda0f70898472a3304270bc75d4924408f4

www.sahafi.jo

46. حوار مع العدوان: أهل الخليج كانوا دائماً في طليعة الأمة العربيـــة فـــي التـــصدي للمخططات اليهودية. اجرى الحوار الكاتب موسى حوامدة.

47. www.alriyadh.com/contents/12-06-2002/mainpage/thkafa_373.php

48. http:Logalcounsel.owon.com

49. موقع دنيا الوطن Pulpit,alwatanvoice.com

50. موقع ويكبيديا.